

اصوات نساء
ASWAT NISSA

#أنا زادة التحرش الجنسي في تونس بين المحرّم وتحرير الكلمة للنساء



بالتعاون مع
آمال محفوظ

استاذة باحثة في المدرسة العليا
للعمل الاجتماعي
لي فالي سويسرا

دراسة أنجزتها
درة محفوظ الدراوي

عالمة اجتماع بالجامعة التونسية
متخصصة في الدراسات حول
النوع الاجتماعي

تونس ديسمبر 2021

الفهرس

.....	مقدمة
.....	أهداف ومنهجية البحث
.....	السياق
.....	السياق الوطني
.....	السياق الدولي
.....	الإطار التشريعي
.....	الجزء الاول : # أنا زادة، التحرش الجنسي بين المحرّم و تحرير الكلمة.....
.....	لمحة اجمالية حول شهادات مجموعة #أنا زادة.....
.....	أنصاف الاعتداءات تجاه النساء، الفتيات من خلال شهادات مجموعة #أنا زادة
.....	من هم مرتكبو العنف والتحرش؟
.....	في أي مكان يحصل الاعتداء الجنسي؟
.....	ما هي آثار الاعتداءات الجنسية على الضحية؟.....
.....	انتفاضة النساء والتّنديد بالعنف الجنسي.....
.....	الاعتداءات والاستغلال الجنسي داخل العائلة والمحيط.....
.....	التحرش بالقاصرات في المدارس الإعدادية والمعاهد الثانوية.....
.....	الطلبة بين العلاقة البيداغوجية وعلاقات الهيمنة.....
.....	التحرش الجنسي القائم على النوع في الفضاء العام: اليومي للنساء والفتيات.....
.....	التحرش في أماكن العمل: التصدي للمقدمات و إقصاء الضحية الشاكية..
.....	العنف بين الأزواج : صعوبة التحرر من رقابة الآخر.....
.....	آثار العنف الجنسي على ضحيته.....
.....	الصدّات النفسية والجسدية.....
.....	الحياة الجنسية، والحياة الزوجية تحت أثر الاعتداءات.....
.....	الانطواء على الذات، الخوف من مجابهة الخارج، اخفاء الجسد.....
.....	فضح التحرش: يصنع الضحية.....
.....	ردود الفعل داخل العائلة : قاعدة التزام الصمت.....

ردود الفعل في أماكن الشغل.....
الجزء الثاني: وقع حركة أنا زادة
خصائص ونمط المستجوبات في البحث.....
الوضعية الاجتماعية والمهنية.....
صفة العلاقة في واقعة التحرش او العنف الجنسي.....
الأماكن والسياقات التي وقع فيها العنف الجنسي.....
ردود الفعل المحيط لشهادة الضحية.....
الانتظارات التي اثارتها مجموعة # أنا زادة.....
الوقع الفردي والاجتماعي لحملة # أنا زادة.....
استراتيجية الضحايا بين الانطواء والصمود.....
نحو وعي مجتمعي أفضل.....
خلاصة.....
التوصيات.....
للمؤسسات.....
للجمعيات والمنظمات.....
مراجع تكميلية.....

مقدمة



منذ سنة 2017 تمكن الكثير من الأفراد عبر العالم، من ضحايا العنف الجنسي من أخذ الكلمة في الفضاء العام على شبكات التواصل الاجتماعي، لتحدي إجبارهم على الصمت، وذلك من خلال العديد من الحركات الاجتماعية¹ مثل #agressionNonDenoncée, #OnVousCroit, #DisSonNom², #LaHonteDoitChangerDeCamp, #StopFemicides, #MeToo Inceste et, #MeToo وفي تونس نجد حركة أنا زادة (#MoiAussi) #EnaZeda

الشهادات عبر النّات تفضح الاعتداءات الجنسية، وعمليات التحرش، و الاعتداء بالفاحشة واستغلال النفوذ على الأطفال، سفاح القربى، العنف والاعتصاب... إلخ.

لقد أثارت هذه الحركات الغضب، والاستنكار، والتضامن بل الاعتراف بأنّ حياة النساء والفتيات دون حماية رغم ترسانة التشريعات والسياسات العمومية التي تدعم المساواة. كما أثارت هذه الحركات موجة من طلبات المساندة القانونية والنفسية. وكانت مصدر إنتاج العديد من الأعمال³، والبيانات، والمقالات واليوميات في وسائل الاتصال التقليدية، ثم نشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعية من أجل التعبير عن غضب النساء وتوسيع استنكارهنّ لكلّ أنواع الخضوع والمراقبة على أجسادهنّ التي تسمح بها المجتمعات وتشرّع لها.

كانت الحركات الافتراضية في تونس في بدايتها تلقائية ثمّ توسّعت شيئاً فشيئاً. كانت نقطة البداية حين تعرّضت تلميذة في أحد المعاهد الثانوية إلى تحرّش من طرف أحد نواب البرلمان. قامت الضحية بإرسال صور فوتوغرافية إلى المشرفة على الصفحة، التي نشرتها على بقية صفحات الشبكات الاجتماعية، محدثة بذلك وقع الصدمة التي حررت شيئاً فشيئاً الكلمة. اتصلت جمعية أصوات نساء بالفتاة لمساندتها والالتزام بالدفاع عنها ومرافقتها طوال المحاكمة⁴. لقد كان للظهور التلقائي لـ"أنا زادة" في أكتوبر 2019 فرصة لبعث صفحة فيسبوك خاصة لهذه الجمعية. تكوّنت هذه الصفحة من خلال ميثاق و استبيان وُضعا على ذمّة كلّ اللاتي والذين يرغبون في الإسهام فيها. تهاطلت الرسائل وتكوّنت مجموعة كفضاء افتراضي مؤمن، إذ أنه وقعت تصفية كل الرسائل التي ترد من كارهي النساء، أو المتحرشين، وذلك عبر عمل يقظ من طرف منسّقات الجمعية.

1 هي حركة تناضل ضد العنف الجنسي، تنشر قوائم للأسماء (رجال ونساء) معتدين محتملين: الأسماء وردت في شهادات ضحايا عبر رسائل ل Dis Son Nom. عبر فيسبوك وأنستغرام ويخضع هذا إلى بروتوكول خاص تظل فيه الهوية مخفية.

2 #DisSonNom est un mouvement contre les violences sexuelles qui publie une liste de potentiel-le-s agresseurs-euses. Les noms sont recueillis selon des témoignages livrés par des victimes dans la messagerie privée de DisSonNom, sur Facebook et Instagram. Un protocole est suivi par les bénévoles et les victimes restent anonymes.

3 نذكر من هذه الأعمال :

Monia Ben Jumia, Les siestes du grand-père. Édité par Cérès Editions en Février 20121.
Isabelle Aubry, La première fois j'avais six ans... Édité par XO Éditions 2021
Camille Kouchner, La Familia grande, Autopsie d'un inceste. Seuil 2021.
Vanessa Springora, Le consentement, Édité par Grasset, 2020.

4 وقعت المحاكمة اخيرا يوم 12 نوفمبر 2021 وحكم على المتهم بسنة سجن نافذة للتحرش والمس من الحياة.



كما تمكنت هذه المجموعة التي وصل عدد أفرادها إلى 40000 عضو من ضمان ديمومة الحركة واستمرار الاهتمام بمشكل التحرش الجنسي، و تمثل ذلك في ظهور صفحات أخرى.

إن ولادة مجموعة أنا زادة عبر الفايسبوك، مكّن هذه الجمعية التي تناضل منذ ولادتها في تونس سنة 2011 في الدفاع عن حقوق النساء، من الانخراط في تدويل الحركات النسوية وجميع أشكال الاحتجاج التي تملكت الشبكات الاجتماعية ووسائل التواصل الحديثة لأجل رفع التحريم على سؤال العنف الجنسي.



#أنا زادة

التحرش الجنسي في تونس بين المحرّم وتحرير الكلمة للنساء

أهداف ومنهجية البحث



إنَّ أهداف الدراسة التي نقدمها هنا هي فهم حركة الاحتجاج هذه ضد التحرش وأنواع العنف الجنسي في إبعاده الاجتماعية والنفسية. ان التمشي في هذا البحث يتضمن

ثلاثة اجزاء :

يتناول الجزء الاول تحليلًا للسياق الوطني والدولي والقواعد التشريعية التي توجه الممارسات، لإبراز تموقع حركة #أنا زادة ضمن مجموعات الحركات النسوية الرقمية التي تقاوم العنف وتناضل عبر الشبكة من اجل حقوق النساء.

نحاول في الجزء الثاني فهم معيش ومنطق الفعل الذي لدى النساء اللاتي تعرضن للعنف الجنسي، وذلك عبر منهجية تحليل مضامين الخطاب⁵، اعتباراً بأنَّ الشهادات تمثل لحظة تفاعل وإعادة بناء وحدة الأشخاص. ان مجمل شهادات# أنا زادة شكّل موضوع تحليل مضاميني عبر محاور من ثلاث مراحل :

- مرحلة قراءة أولى للشهادات، تتبعها عملية توليف وترميز للمعطيات النصية والمعلومات عبر برمجية ATLAS-TI ذلك لاستخراج أهمّ المعاني المكثفة في شكل مواضيع فرعية.
- في مرحلة ثانية وقعت معالجة هذه المواضيع الفرعية وترتيبها لإعداد تصنيفات للتعرف على المعنى الذي يعطيه الأفراد لكل محور.
- أخيراً لقد مكّن التوثيق والتصنيف من ايجاد قاعدة للانطلاق في التحاليل وتأويل المعطيات.

لقد تمكّننا بفضل تحليل المضامين من تناول الواقع الاجتماعي من خلال أقوال المعنيين من الأفراد، وتجاوزنا بذلك الوصف وأنجزنا تحليلًا لمعيش الأشخاص الذين واجهوا أنواعا من العنف والتحرش. مكّننا التحليل من أن نقف أمام الأضرار والمعاناة، و كذلك الصمود والمقاومة لدى النساء والفتيات (بل وبعض الرجال)، وذلك برفع الستار عن وجه مخفي لمجتمعنا.

سخرنا الجزء الثالث من هذه الدراسة، استناداً إلى نتائج تحقيق عبر استبيان انجز في النات، لاستجلاء الآثار الاجتماعية والمجتمعية التي كانت لحركة #أنا زادة الرقمية في تونس سواء على الأفراد او المجموعات.

⁵ موكيلي Mucchielli تحليل المضامين وهو مصطلح عام يطلق على مختلف مناهج تحليل الوثائق وخاصة النصوص منها، والتي تسمح بشرح المعنى او المعاني المضمنة فيها او/ و الأساليب التي تعتمدها لإنتاج مفعول المعنى [Mucchielli 1996,p.36]



السياق



السياق الوطني

كيف نفَسّر نجاح #أنا زادة في تونس ومدى قدرة الحركة على فضح التحرش والاعتداءات والعنف الجنسي التي هزّت "الشبكات الاجتماعية" في 2019-2020 والتي أثارت آلاف الشهادات والتعليقات وردود الأفعال؟

نعتقد أنّ هذا التأثير يفسّر بعوامل تاريخية وظرفية في نفس الوقت. لنذكر بأنّه منذ الثمانينات تجنّدت حركة حقوق النساء في تونس حول اشكالية تملك النساء لأجسامهن و من أجل حقوقهن الجنسية والإنجابية.

كان هذا هو المجال الذي انطلقت منه الحركات النسوية، في منعطف السنوات 1980، في نضالها ضد العنف المسلط على النساء والفتيات، وضد التمييز الجنسي و الهيمنة الذكورية و كل ما يبرره أو يشرع له داخل المجتمع. لقد كان قانون 58 لشهر أوت 2017 نتيجة عقود من الصراع. لذلك فالاحتجاجات النسوية لحركة #أنا زادة تأتي في إطار الاستمرارية لنضال قديم متأصل قامت به الجمعيات التي تسعى من أجل المساواة ومدّ العون للضحايا، وتمكينهم من حقوقهم، وكذلك من أجل تحرير جسد المرأة و صوتها من سطوة السلطة الأبوية.

لقد كان العامل الثاني الذي ساعد على ظهور وانتشار هذه الظاهرة هو السياق المؤسسي الذي كان نسبيا ملائما لمقاومة شتى أشكال العنف النوعي. فمنذ 2008 كانت الإرادة السياسية والسلط العمومية قد أظهرت حماسا لمقاومة العنف القائم على النوع الاجتماعي، وذلك حين وقع الانطلاق في برنامج داخل الديوان الوطني للعائلة والسكان، حول العنف والإنصاف في النوع. هذا البرنامج أفضى في سنة 2011 الى إصدار تحت عنوان : الدراسة الوطنية حول العنف تجاه النساء في تونس" والذي اعترف علنا بمدى انتشار العنف في النوع.⁶

بالتوازي مع هذا قامت السلطات الحاكمة بعد 2011 ببعث لجنة وطنية للانطلاق في التفكير الاستراتيجي وتتولى مراجعة الاستراتيجية الوطنية لمقاومة العنف ضد النساء من خلال مسيرة حياة) وقعت المصادقة على هذه الاستراتيجية سنة 2008 ثم تمت مراجعتها سنة 2013.

لقد غيرت التحولات الاجتماعية والسياسية بعد ثورة 2011 في الرؤى والرهانات. أعطت هذه التغييرات الدور الأكبر للمجتمع المدني و للجمعيات النسوية/ والنسائية التي أصبحت أكثر عددا

⁶ درة محفوظ دراوي :

" La violence de genre, un objet difficile à construire », in La violence fondée sur le genre en Tunisie. États des lieux (2007)



وتتمتع بآفاق أرحب للفعل والمناصرة . إنّ تجنّد هذه الجمعيات في الدفاع عن حقوق النساء والفتيات و مناهضة العنف، أفضى الى ادراج مبادئ سيّداو في الدستور الجديد 2014 وتجسم ذلك في رفع تحفظات الدولة التونسية على هذه الأخيرة.

لنذكر هنا بأنّه من اهم مكاسب الدستور الجديد لسنة 2014 هو التزام الدولة بأخذ كل التدابير من اجل القضاء على العنف ضد النساء. لكن بقيت الكثير من القرارات السياسية العمومية غير منجزة وذلك امّا لغياب الموارد المالية اللازمة وإما لعدم توفر الإرادة السياسية في الواقع.

في سياق اعادة التشكّل القانوني، وقيام حركات اجتماعية اجتياحية تناهض العنف القائم على النوع و في سياق مطالب نسوية وقع الإعداد للقانون 58-2017 المتعلق بإلغاء العنف المسلّط على المرأة، والذي صدر في 11 اوت 2017.

لقد كانت مطالب المجتمع المدني (الجمعيات النسائية و النسوية، وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات إلخ) تتعلق بالتنديد بالعنف، وبالحقوق الجنسية والإنجاب (الحق في الإجهاض، واختيار الميولات الجنسية...)، وتستمدّ قوتها بالتأكيد على أنّ المجال الخاص (وليس الخاص فقط) هو الآن وأكثر من أي وقت سؤال سياسي.

إنّ معركة مناضلات الحقوق الإنسانية و الجمعيات النسوية ومناضليها ضد العنف في النوع استمرت بعد إصدار القانون الأساسي 58-2017 من أجل تطبيقه فعليًا. لقد جمعت هذه الجمعيات في أكتوبر 2015 داخل الائتلاف الوطني للجمعيات ضد العنف تجاه النساء لمواصلة الدفاع عن هذا المكسب . خاصة ان ترجمة هذا القانون في إجراءات ملموسة اصبح رهانا ذا أهمية وذلك بعد تزايد العنف بعد الثورة وخاصة خلال فترة جائحة كوفيد19 في مناخ عام من الإفلات من العقاب.

إنّ حملة أنا زادة، وحركة التنديد العام بالتحرش الجنسي والاعتداءات ضد النساء والفتيات التي اكتسحت العالم، الا انها ما كانت تلاقي ذلك الانتشار #MeToo انطلقت في خضم حركة لو لم تحتضنها الشبكات الاجتماعية النسوية و الأشكال الجديدة للاحتجاج عبر النات.

تعتبر النساء في تونس وخاصة الشابات من اكثر مستعملي الشبكات الاجتماعية (في تناصف مع الرجال ⁷) لذلك قامت حملة #أنا زادة، كإطار موحّد، بإعطاء فرص للتعبير والتنديد والظهور في مقاومة العنف النوعي لقد زعزعت التعبئة النسوية عبر الشبكة العنكبوتية وذلك

⁷ تمثّلان تبعاً، نصف المستعملين للإنستغرام، 44% من المستعملين لفيسبوك وميسنجر و 39% ل لينكدان. المرجع :

Dorra Mahfoudh Draoui, Le cyber harcèlement sexuel: Une nouvelle forme de violence basée sur le genre. Édité par F.F. Ebert-Tunis, Novembre 2021.

بأن جددت الحوار حول العلاقات الاجتماعية بين النساء والرجال. سمحت هذه الحملة للكثير من النساء بالإدلاء بشهادتهن كضحايا للتحرش والعنف والاعتداءات. كما اثبتت حركة # أنا زادة ان العنف يُمارس في كل الأوساط وفي جميع مراحل الحياة (طفولة، مدرسة، مقر شغل، فضاء ترفيه، أماكن تجول، إلخ...

السياق الدولي

إنّ التنديد بالعنف الجنسي الذي تجندت له الحركات الاجتماعية الملتزمة بتحرير الجانب الخصوصي لم يتسنّ له الظهور وظلّ بعيداً عن الأنظار، رغم المكاسب الهامة التي تتسم بها مبادئ النسوية في الحرية والمساواة.

ان حجم انتشار حركة #MeToo في 2017 على إثر قضية هرفي ونستين⁸ يعود الفضل فيه الى شخصية النساء اللاتي قمن بالفضح والتنديد بالتحرش الجنسي (شخصيات نسائية عامة، ممثلات، مناضلات...). أخذ هذا الانتشار حجمه الكبير بفضل الشبكات الاجتماعية (500000 شهادة في أيام قليلة، ثلاثة ملايين تغريدة على تويتر في ثلاثة أشهر). لكن هذا لا يعني ان هذه الحركة ولدت فجأة في شكل تسونامي لا يتوقعه احد. انه يأتي في سياق صراع نسوي طويل من اجل ان تتملك المرأة جسدها في ابعاده الخصوصية. كما نذكر ما سبقتها من حركات في مختلف البلدان⁹. (في الهند مثلاً : حملة التنديد بالاغتصاب الجماعي لطالبة في نيودلهي سنة 2012).

ان قوة مضمون الرسالة التي تحملها حركة #MeToo هو الإيحاء بالقول : " أنا أيضا كنت ضحية تحرش، أو اعتداء جنسي، أو اغتصاب، أو محاولة اغتصاب". وبفعل التعاطف بإمكان النساء ان يفهمن الرسالة كالآتي: " أنا أيضا امرأة ويمكن ان أكون ضحية في اي لحظة". ان هذه الحركة إذن، تتجه إلى كل النساء و إلى كل الفتيات بقطع النظر عن اختلاف السن، الطبقة الاجتماعية، اللون الجنسية إلخ لتصبح بذلك جسر تواصل وشعار تضامن ذا صدى عالمي.

حين خلقت الحركات النسوية المناهضة للعنف الجنسي ضميراً جماعياً " نحن" ووضعت تحت الأضواء فإنّها بذلك أصبحت رافعة لتغيير المجتمعات. إنها حركة نسائية في القرن الواحد والعشرين تحذق استعمال الأدوات التكنولوجية العصرية لتبرز وجهة نظر لا تؤخذ بعين الاعتبار، وهي تتناسب مع واقعها الشامل والتراجيدي¹⁰.

⁸ هذا الرجل من الصف الاول في الصناعة السنمائية الهوليودية متهم بالاغتصاب والاعتداء الجنسيين على 93 امرأة (المرجع :

Le viol et les violences sexuelles in Sciences Humaines n°304, 2018, page 24.)

⁹ في الواقع بعثت حركة MeToo سنة 2007 من طرف الممثلة النسوية ذات الأصول الأفريقية تاركا بورك. ثم استعادت بعد عشرة سنين الممثلة أليسا ميلانو.

¹⁰ Veronique Nahoum-Grappe, #Meetoo: Je, Elle, Nous. In Revue Esprit 5/2018.



الإطار التشريعي



عمّا نتحدث حين نقول: تحرش جنسي، اعتداء بالفاحشة اعتداء جنسي اغتصاب الخ... نحن لا نضيف جديدا حينما نقول بأن القانون يوجه السلوك، إذن كيف يعرّف التشريع التونسي ويتعامل مع حالات التحرش والعنف الجنسي و الاعتداء بالفاحشة والاغتصاب ؟

لنذكر هنا مايمثله قانون 58- 2017 كمكسب الذي يعرّف العنف الجنسي كالآتي " . كل فعل أو قول يهدف مرتكبه إلى إخضاع المرأة لرغباته أو رغبات غيره الجنسية باستخدام الإكراه أو التهديد أو الضغط وغيرها من وسائل إضعاف وسلب الإرادة وذلك بغض النظر عن علاقة الفاعل بالضحية الفصل 3 من قانون 58-2017.

حسب هذا القانون يشمل العنف الجنسي : التحرش الجنسي، الاغتصاب، الاعتداء بالفاحشة وسفاح القربى. ومثلما نلاحظه فإن مفهوم الرضا، كتعبير مستقل لإرادة شخصين يتمتعان بكلّ ملكات التمييز، وتفترض المساواة بينهما، لم يقع التنصيص عليه صريحا في القانون. بل وقعت الإشارة اليه بكلمات كالإكراه، سلب الإرادة، ضغط.

يدخل في تصنيف تحرش جنسي " , كل اعتداء على الآخر بأفعال، أو أقوال، أو حركات، أو سلوكيات ذات إيحاءات جنسية تمسّ من كرامة الشخص أو من حياته، وذلك قصد دفعه للخضوع لرغبات المعتدي الجنسية أو غيره من الأشخاص، ويكون ذلك بالضغط الخطير عليه الذي من شأنه إضعاف مقاومته." في قانون 58- 2017 يُعاقب المتحرش جنسيا حتى وإن لم يتكرر الاعتداء، ويعتبر هذا تطوّرا بالقياس إلى الوضعية السابقة. إلا أن الدراسات الأخيرة أثبتت أن القضاة يشترطون تكرار الجرم، وذلك رغم وضوح القانون ¹¹. يعاقب المتحرش بسنتين سجنا وبخطية تقدر 5000 دينار ¹². ويتضاعف العقاب إذا كان الضحية طفلا أو إذا كان الفاعل من الأصول أو الفروع ومهما كانت الدرجة. كما يتضاعف العقاب إذا كان الفاعل له سلطة أو نفوذ تخوّله له وظيفته.

كما يعتبر قانون 58 2017 إصلاحا لمختلف أحكام المجلة الجنائية. فهو قانون يمنح الضحية مقاما قانونيا يخوّل له التمتع بجملة من الحقوق: الحق الآلي في الاعانة العدلية، الحق في المرافقة القانونية والمتابعة الطبية والاجتماعية النفسية، الحق في الرعاية من طرف الخدمات الاجتماعية و الجمعيات. إلا أنه في ارض الواقع لا يقع تطبيق هذه الإجراءات ومعظم النساء من ضحايا العنف لا يتمتعن بهذه الحقوق.

11 انظر بالخصوص دراسة الجمعية التونسية للنساء ديمقراطيات :

Accès à la justice des femmes victimes de violence. Entraves et défis. Page 62. 2021.

12 حسب الفصل 226 (الجديد)



أمّا فيما يخصّ العنف الجنسي الذي تكون فيه الضحية قاصرا، فإن المشرّع قد وسّع من شروط التشديد في العقاب وذلك بأن رفع سن التمييز من 13 الى 16 سنة، وبأن عرّف جريمة زنا المحارم و حدّد عقوبتها بالسجن المؤبد. هناك مكاسب قانونية أخرى يجب الإدلاء بها، نذكر منها تجريم العنف الاقتصادي والسياسي، استحالة الإفلات من التبعات العدلية بالنسبة لمرتكب جريمة الاغتصاب في صورة ما إذا تزوج بضحيته، والاعتراف بجريمة الاغتصاب إذا كان الضحية رجلا وليس فقط امرأة. لأنه في الماضي كان اغتصاب الرجل يصنّف "اعتداء بالفاحشة".¹³

كما يمكن أن نلاحظ في هذا القانون توسع في تعريف التحرش ليشمل التحرش في الطريق العام. كما أضاف القانون ظروف تشديد عقاب جديدة في حالة الاستغلال الجنسي، وذلك إذا كانت الضحية طفلا ، إذا كان مرتكب الفعل قرين أو قرين سابق، خطيب أو خطيب سابق للضحية، أو إذا كان مرتكب الفعل قد استغل نفوذه على الضحية أو استغل حالة ضعف تعيشها هذه الأخيرة.

أمّا فيما يخص العنف بين الأزواج فلقد اظهر قانون 58-2017 تطورا في مجال حماية المرأة. فالعنف بين الأزواج ليس فقط جسديا، بل هو أيضا جنسي، نفسي، معنوي واقتصادي. كذلك لا يُصنف هذا العنف، في المجال الخاص، لتسقط الجريمة بسحب المتضررة للشكاية. سحب الشكاية لا يوقف التبعات. لكن مفهوم الواجب الزوجي، الذي لا يزال فاعلا في الممارسات والتمثّلات، يكرس الاعتقاد بأن الزواج مرتبطا دائما بالإكراه على ممارسة الجنس. لذا نلاحظ ان القانون لم يمنع بوضوح اكراه الزوجة على القيام بعلاقات جنسية بدون رضاها.

فلقد اثبتت الدراسات الاخيرة انه حسب فقه القضاء التونسي، هناك غياب تام تقريبا لأحكام قضائية متعلّقة بجريمة الاغتصاب بين الأزواج، كما أنّ العلاقات الجنسية في ظل الزواج تعتبر واجبا شرعياً للقرينين. وهذا ما تشهد به غالبية الأحكام حتى تلك التي صدرت بعد احداث القانون. فحرية التأويل التي تُركت للقاضي خاصة في حالة الطلاق، تقع في تناقض مع الفصل 227 من المجلة الجنائية والمتعلق بالاغتصاب. فهو بذلك يرفض تجريم الاغتصاب بين الأزواج، تاركا المجال مفتوحا للعنف الجنسي بين القرينين، وهذا ما يفسّر تفاقم هذه الظاهرة كما تؤكد الدراسات العلمية والميدانية.¹⁴

¹³ للمزيد من التفاصيل : Guide sur la loi 58-2017, publié par AFTURD. Élaboré par Monia Kari. Édition AFTURD /DANNER/Danish-Arab. Janvier 2019

¹⁴ انظر خاصة :

« Production judiciaire des normes de vigilance de la société civile. Le cas de la sexualité en Tunisie par Maaïke Voorhoeve in L'année du Maghreb 16/2017.



وفي نفس التصور تندرج العقوبات التي ترد في المجلة الجنائية لحالات الاعتداء على الحياء (عرض اجزاء من الجسم عارية للأنظار، التلذذ خلسة بمشاهدة الحياة الخصوصية للآخرين)¹⁵. "يعاقب بستة سنوات سجنًا من يعتدي على حياء شخص، من الجنسين، بدون رضاه" (الفصل 228 جديد). ويضاعف العقاب إذا ما كان الضحية طفلاً، وإذا كان الفاعل من الأقارب، أو له نفوذ على الطفل أو استغل حالة ضعفه.

أما في المجال المهني وأماكن العمل فإن التحرش يمارس على النساء لأنهن يعشن وضعية الضغوطات النفسية والاقتصادية. لقد أظهرت حملة #أنا زادة أنّ الاعتداءات في هذا المجال لا يتعامل معها بجدية من طرف المسؤولين المشرفين (مدير...). قليلات هنّ الضحايا اللاتي يتقدمن بشكاية، ومعظم المتحرشين يفلتون من العقاب. في غالب الأحيان لا تجد النساء اللاتي فشلن في دعواهنّ الا الخضوع أو الانقطاع عن العمل. يعتبر التحرش الجنسي في العمل تهديدا للمرأة وذلك في العديد من المستويات، (النفسي، المعنوي، الاقتصادي، والاجتماعي)¹⁶. ويزداد خطر التحرش والعنف الجنسيين مع تفاقم نسبة البطالة و آثار جائحة كوفيد¹⁷. 19.

يجب التذكير هنا أنّ الدورة 108، (جوان 2019) للمؤتمر الدولي للعمل قد تبني الاتفاقية الدولية ضد العنف والتحرش في العمل (رقم 190). وتعتبر هذه الاتفاقية خطوة هامة في مقاومة العنف والتحرش الجنسي في أماكن العمل¹⁸. ولقد كانت الحكومة التونسية بين الأعضاء الذين صوتوا لتبني هذه الاتفاقية. وانطلقت حملة مناصرة من النساء في النقابات والجمعيات للتسريع في المصادقة عليها وتطبيقها في تونس.

إن التشريع التونسي يهدف إلى حماية الأطفال، من الجنسين من العنف والاستغلال الجنسي. وهكذا فإن القانون الأساسي عدد-58 2017 قد نَقَح بعض فصول المجلة الجنائية وخاصة الفصل 227 مكرر والذي عوضه الفصل 227 مكرر جديد. يقول هذا الأخير " يعاقب بخمسة سنوات سجنًا من يعتدي إراديا جنسيا على قاصر أنثى كان أو ذكرا برضاه، والذي يكون سنه يفوق ١٦ سنة كاملة أو اقل من 18 سنة كاملة".

15 الفصل 228، 228 مكرر والفصل 229 من المجلة الجنائية

16 انظر اكيكادا، # أنا زادة، التحرش الجنسي في الشغل، يقدم من شهادتهن، (30 ديسمبر 2019).

17 حسب ما ينشره المعهد القومي للإحصاء نسبة البطالة بلغت 17,8% خلال الثلاثية الاولى من سنة 2021، اي 23,8 للنساء و 15% للرجال. وتبلغ 41,6% من اللاتي سنّهن 14-24 سنة، و 40% في صفوف الرجال.

18 إن عبارة " العنف والتحرش المينيان على النوع"، تفهم على أساس العنف والتحرش اللذان يستهدفان شخصا على أساس جنسه أو نوعه، أو اللذان لهما مفعول (متفاوت على أشخاص من جنس أو نوع معين، ويشتمل على التحرش الجنسي (الفصل اب



كما تؤكد مجلة حماية الطفل لسنة 2010 على حق الطفل في " التمتع بمختلف الإجراءات للحماية ذات الصبغة الاجتماعية والتربوية والصحية وغيرها، وجميع الإجراءات وتدابير تهدف إلى حماية من كل أشكال العنف والاعتداءات الجسدية والنفسية والجنسية وكذلك الإهمال والتهميش الذين ينتجون عن المعاملة السيئة أو الاستغلال " الفصل 2 .

كما تؤكد نفس المجلة على مسؤولية مندوب حماية الطفولة، الذي هو مكلف بالتدخل لدى أولياء أو كل شخص يتكفل برعاية الطفل (من الجنسين) الذي يقل سنّه عن 18 سنة. وذلك من أجل حمايته من كل استغلال أو اعتداء من شأنهما تهديد أمن و نمو هذا الأخير.

هكذا إذن نتبين تجريم الاستغلال والعنف الجنسيين، وبناء قواعد قانونية جديدة تعيد تعريف الجريمة وتعاقب مرتكبيها وتحمي الأفراد: الأطفال، المراهقون، الكهول وخاصة النساء والفتيات.

كيف يمكن لهذه التغيرات في القواعد القانونية التي تشير إلى إرادة سياسية و تعبر عن شعور عميق لدى جزء هامّ من المجتمع على حاجة ماسة للعدالة والاعتراف بحقوق الأفراد، أن تترجم في ممارسات؟ هل تمكنت من تغيير التمثّلات الاجتماعيّة، واللامساواة، و الصور النمطية التي تواصل التشريع للعنف الجنسي على النساء والفتيات؟

تسعى هذه الدراسة التي تقوم بها جمعية اصوات نساء إلى أن تقترح أجوبة على هذه الأسئلة وذلك بتحليل كيفي لأقوال حرة للنساء من خلال شهادات أرسلت و دونت على صفحة فايسبوك،(أصوات نساء# أنا زادة). تتعلق هذه الشهادات بالفترة الممتدة من 2019-2020 لكن الحركة لا تزال متواصلة.



الجزء الاول #أنا زادة التحرش بين المحرّم و تحرير الكلمة



لقد قامت حركة وحملة# أنا زادة بالتنديد بجميع أنواع العنف المسلط على النساء (وفي بعض الأحيان على الرجال)، أنه عنف وقع في الماضي وغمره الصمت طوال سنين، وُضع تحت ستار الحشمة، "وحماية" الحياة الحميمة والخاصة.

لقد بدأ كل شيء يوم 10 أكتوبر 2019 حين التقطت احدى التلميذات صورة لنائب من مجلس النواب بصدد ممارسة العادة السرية في سيارته أمام معهدها الثانوي. ثم سرعان ما أرسلت الصورة عبر النات لتنتشر كالفيروس على الشبكات الاجتماعية. لقد اثارَت الصورة في حينها موجة من الشهادات حول التحرش الجنسي في تونس. انطلقت حينها الالسن لتقول الكلمة الحرة، كلمة النساء والرجال وأعضاء مجموعة LGBT الذين كانوا ضحايا جنس لوحوش الجنس.

عقب هذه القضية التي لاقت انتشارا إعلاميا واسعا، قامت جمعية أصوات نساء و مجموعة من الشابات النسويات ببعث صفحة فايسبوك اسمها أنا زادة لمساندة هذه الفتاة التلميذة وتنسيق الدفاع عنها. وهكذا شيئا فشيئا كانت شجاعة هذه التلميذة منطلقا وحافزا لضحايا العنف الجنسي للإدلاء بشهادتهن. لقد كانت حركة أنا زادة محركا للإثارة الذكريات و الصدمات المغمورة، بل ان بعض الضحايا، من خلال ثنايا الشهادات تمكن من التعرف على هوية من اعتدى عليهم في الماضي، وعبرن بذلك على صدمة كن يعتقدن انها دُفنت الى الأبد.

هكذا إذن قامت مجموعة أنا زادة بمساندة عدد هائل من الشهادات التي جاءت بزخم من كل مكان. ان حملة الشهادات التي اثارها قضية النائب اثبتت ان الأمر يعني الجميع، نساء وفتيات، من جميع الآفاق مهما كان العمر، النشأة، المهنة، والوضعية الاجتماعية. بل حتى النساء اللاتي يعتبرن ظاهريا في مأمن من الاعتداءات نظرا للمستوى الثقافي، او المهني او نظرا لمكانتهن الاجتماعية والسياسية فإنهن قد تعرضن في لحظة ما من مسيرتهن الي السيطرة الأبوية.



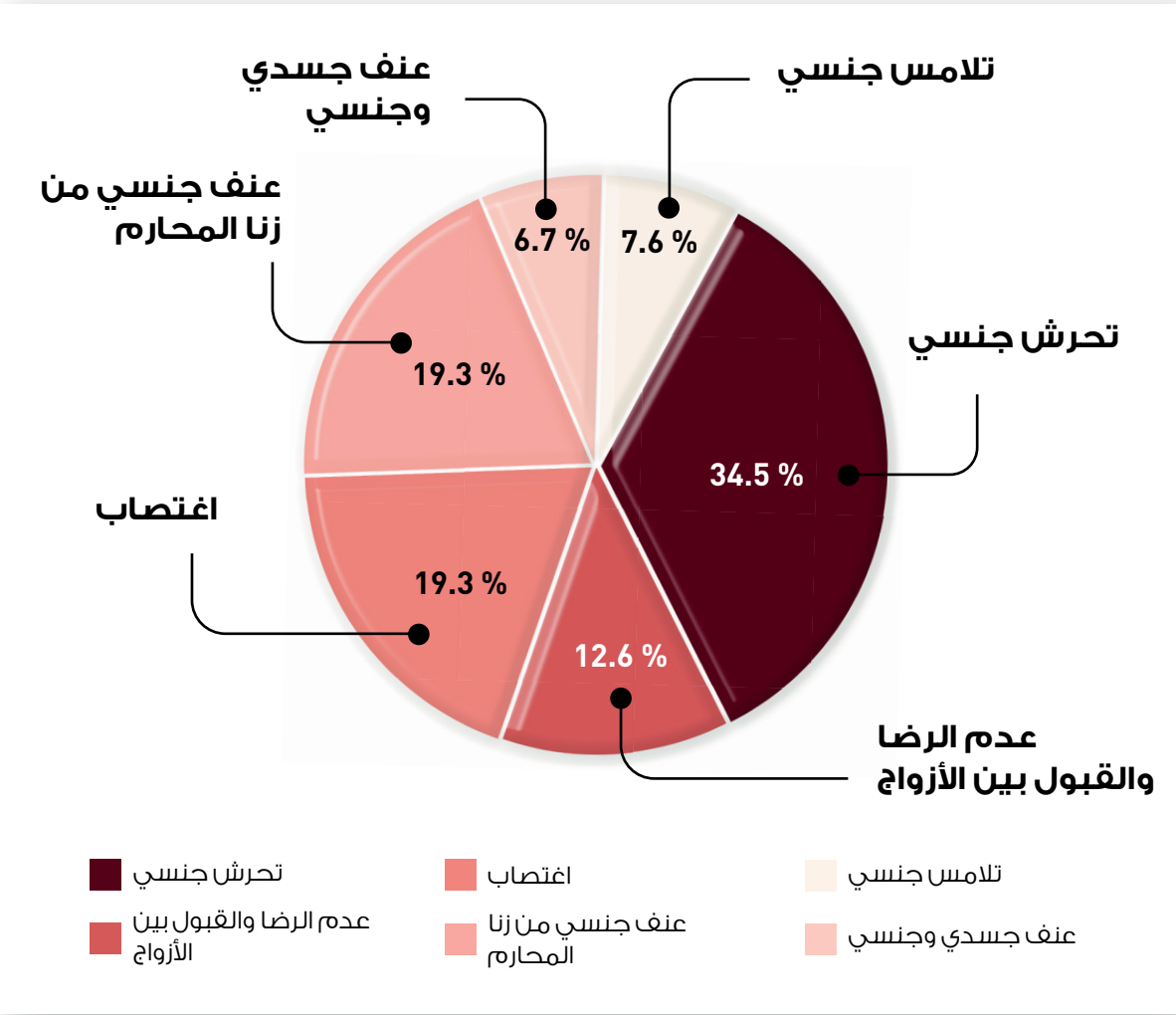
لمحة اجمالية حول شهادات مجموعة #أنا زادة



سوف نقوم بصفة أولية بتقديم نظرة عامة عن الشهادات، عن أنواع العنف، مرتكبيها، الأماكن التي وقعت فيها و الآثار المترتبة عنها. سيتبع هذا بتحليل كيفي معمّق.

ماهو نوع العنف الذي يتعرضن له النساء والفتيات خلال مسيرة حياتهن؟ أي شخص من الممكن ان يكون قد تعرّض خلال حياته الى عدّة أصناف من العنف، لكن ننتقل من فرضية أنّ الضحية تركّز على الاعتداء الذي أثر فيها بدرجة أكثر حدّة، والذي لم تتمكّن من الكشف عنه والذي تنتظر مساندة من الآخرين فيه.

أصناف الاعتداءات تجاه النساء. الفتيات من خلال شهادات مجموعة #أنا زادة



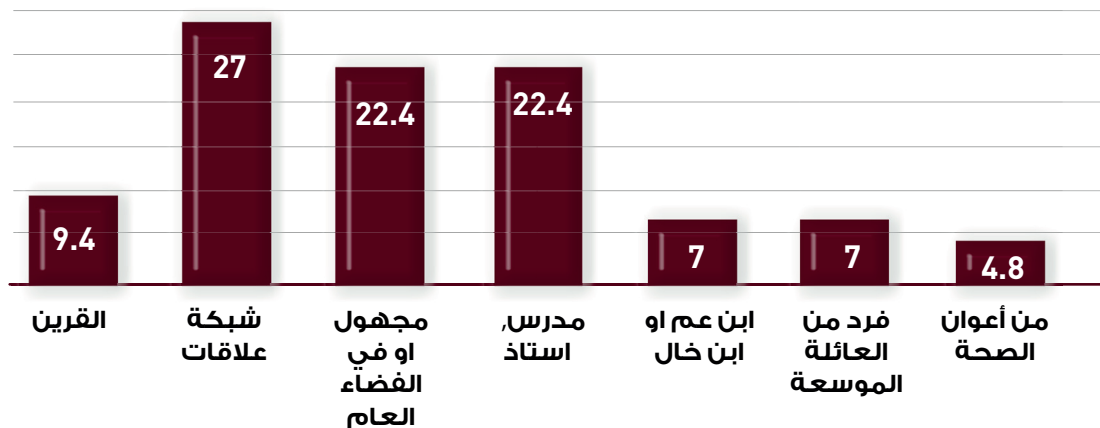
انّ الجدول السابق يبرز:

- ان التحرش الجنسي هو العنف الشائع بدرجة أكبر نظرا لأنه يتعلق بأكثر من ثلث الشهادات (34,5%).
- ضمن نفس الشهادات، نجد انه على كلّ خمسة نساء (و فتيات)، واحدة منهن سبق لها ان تعرضت للاغتصاب (19,3%).
- نفس العدد، اي فتاة/امرأة بين خمسة سبق لها ان تعرضت الى اعتداء جنسي مصاحب بالعنف من طرف أحد المحارم (أب، أخ، خال، إلخ) (19,3%).
- امرأة من بين عشرة نساء تعرضت الى اعتداء جنسي، او أُجبرت على ممارسة الجنس بدون رضاها بل الى الاغتصاب من طرف قرينها (12,6%).
- حسب نفس الشهادات لمجموعة # أنا زادة، فإن الملامسة الجنسية، والعنف الجسدي، والجنسي ترد بنسبة لا يستهان بها (7,6% للصنف الاول من الاعتداءات، و 6,7% للصنف الثاني).

من هم مرتكبو العنف والتحرش؟

هم غالبا من الوجوه المألوفة، للضحية، أشخاص ينتمون الي شبكة العلاقات في محيط الأصدقاء، الزملاء وبعض الأحيان الجيران (27%). هناك أشخاص آخرون تربطهم بالضحية علاقة سلطة او نفوذ، كالمدرّسين، (22,4%)، أو أعوان الصحة (4,8%). أمّا نسبة الأشخاص المجهولين او المتحرشين في الفضاء العام فإنها تبلغ (22,4%) من الشهادات. أمّا نسبة الأزواج وأفراد العائلة الموسعة (خال، جد، ابن عم، إلخ) فإنها تبلغ 23,4 % من الشهادات والتي تتعلق اساسا بزنا المحارم، بالمداعبات، والتحرش الجنسي بل و حتّى بالاغتصاب.

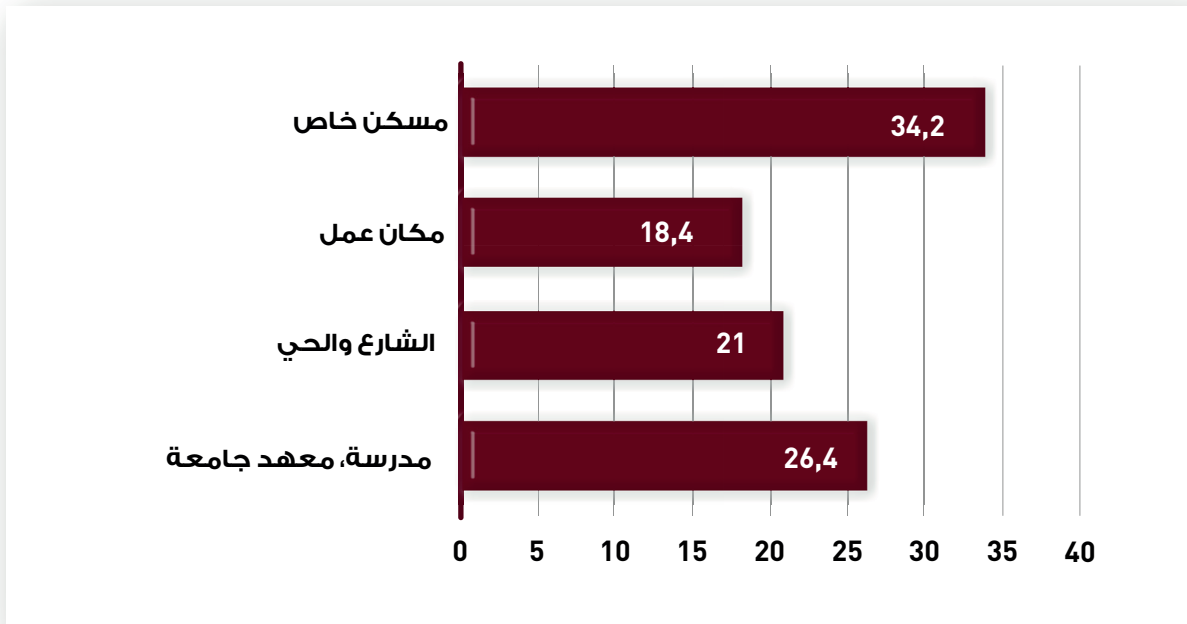
مرتكبي الاعتداءات حسب شهادات #أنا زادة



في أي مكان يحصل الاعتداء الجنسي؟

تختلف الأماكن التي يحصل فيها الاعتداء حسب اختلاف هوية الفاعل. يأتي الفضاء الخاص (محل الزوجية، المسكن العائلي، أماكن خاصة أخرى) في المرتبة الأولى، يرد في 34,2% من الشهادات. من بين كل أربعة حالات من التحرش الجنسي، هناك حالة تحدث في فضاء تتوفر فيه حماية نسبية، كالمدرسة، والجامعة وأماكن العمل. إن التحرش يشمل هنا 26,4% من التلميذات والطالبات، وامرأتان على كل عشر نساء ناشطات مهنيًا (18,4%). أما التحرش في الشارع أو الحي، وهو الذي لا يقل أهمية فإنه يبلغ 21% من مجموع الشهادات.

مرتكبي الاعتداءات حسب شهادات #أنا زادة

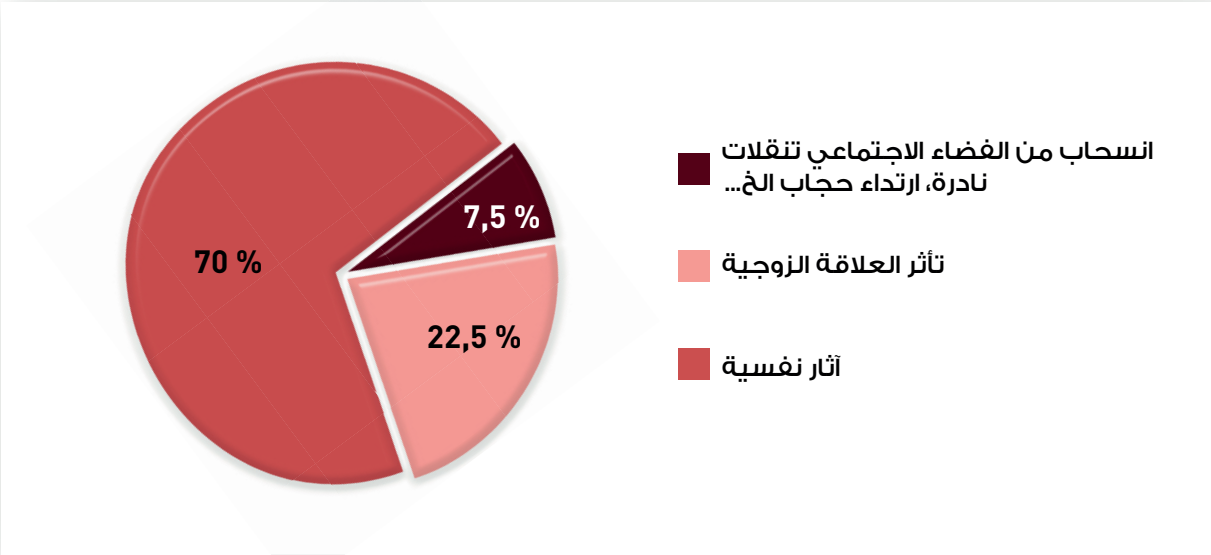


ما هي آثار الاعتداءات الجنسية على الضحية؟

تختلف الآثار المترتبة عن الاعتداءات والتحرش الجنسي، فهي تمس السلوك الاجتماعي، والبنية النفسية، والحياة الحميمة للضحية. من الظاهر أنّ الآثار النفسية كارثية بما أنه 70% من النساء والفتيات (أي فتاة/امرأة على 10) من اللاتي أدلين بشهادتهن عانين أو يعانين من هذه الآثار. كما أن الحياة الزوجية تتضرر بآثار هذا الاعتداء إذا كانت الزوجة أثناء، أو قبل زواجها ضحية مكرهة لعلاقات جنسية، أو اغتصاب أو تحرش جنسي، (22,5% من الشهادات).



وأخير فإن 7,5 % من الضحايا صرحن بأنهن اضطررن عقب التحرش، او الاعتداء الجنسي الذي تعرضن له الى الانطواء على أنفسهن، في دائرة حياتهن الخاصة الضيقة، مع تقليل شديد في عدد تنقلاتهن و الاتصال بالآخرين، هناك عدد من النساء الضحايا ارتدين الحجاب " كملاذ "وحماية".



من الثابت ان الدستور في فصله 14 والقانون 2017-58 قد منحا الضحية حقوقا لتجرؤ على تقديم شكاية قضائية، منها : النفاذ للمعلومة، المساعدة القضائية المجانية، المتابعة الصحية والنفسية، التعويضات المنصفة. الا انه رغم ذلك فان النساء الضحايا يصطدمن بعقبات وضغوطات تشيهن على الأقدام على هذه الخطوة. من بين هذه العقبات نذكر: الوصم الاجتماعي، عدم الاعتراف بحقوقهن، الصعوبات في الحصول على الاعانة العدلية والمرافقة القضائية، موارد مالية محدودة، الأحكام المسبقة لأعوان الشرطة العدلية وحتى بعض القضاة، والأكثر من كل هذا طول الوقت الذي تستغرقه الإجراءات القضائية.¹⁹

19 انظر :

« L'accès à la justice des femmes victimes de violence. Entraves et défis ». Étude de l'AFTD op.cit.



21

#أنا زادة

التحرّش الجنسي في تونس بين المحرّم وتحرير الكلمة للنساء

انتفاضة النساء والتنديد بالعنف الجنسي



الاعتداءات والاستغلال الجنسي داخل العائلة والمحيط

ان العنف داخل العائلة لا يحتاج الى شهادات، لأنه في الفضاء الخاص والعائلي يتعرض الأطفال والمراهقون والمراهقات الى التجارب الأولى من أشكال الإساءة والعنف الجنسي. ان الكثير من الدراسات اثبتت ان زنا المحارم (اي العلاقات الجنسية مع الأب، الأخ، العم إلخ) ليس شيئا نادرا. فلقد صدر في دراسة انجزت في فرنسا سنة 2020 من طرف جمعية "Ensemble contre l'inceste" و محورها " الفرنسيون وزنا المحارم " ان 10% من المستجوبين اي ما يعادل 6,7% من الفرنسيين كانوا ضحية زنا المحارم²⁰. ثمانية من بين عشرة ضحايا هن من النساء. و الأخطر من هذا ان هذه النسبة ارتفعت مع مرور الزمن، من 3% سنة 2009 ، الى 6% سنة 2015.

تشير الشهادات التي وصلت ل #أنا زادة ان مرتكب الاعتداء الجنسي، هو من أقارب العائلة، شاب او كهل يحظى بالثقة، احد الوجوه المألوفة للعائلة، جار، عامل حديقة، تاجر الحي إلخ. غالبا ما تلجأ الفتيات (والفتيان)²¹ الى الصمت وإخفاء ما تعرضن له وذلك لاعتبارات عديدة: عدم وجود من يستمع لهن، الخوف من عدم تصديقهن، و الأخطر هو الإحساس بالذنب

الطفولة الاولى : ذكريات الاستغلال الجنسي داخل العائلة

ان الكثير من الشهادات من النساء (من الشباب ومن الكهول) تعود لسرد ما تعرضت له و عاشته خلال سنين الطفولة المبكرة او المراهقة ولم تتحدث به لاحد. غالبا ما تعود هذه الذكريات الى العشر سنوات الأولى بل الى السنة الرابعة والخامسة من الطفولة. وهي ذكريات إساءة جنسية :

"جسد بنت عمرها سبع سنوات" "كان عمري اقل من عشرة سنين" " كنت ما بين الرابعة والخامسة" " كنت فتاة صغيرة لم اتجاوز الخامسة" " عشت كل ذلك ولم ابغ بعد السابعة" " بدأ ذلك حين كنت في التاسعة" " بدأ التحرش ثم الاغتصاب من نفس الشخص حين كنت في السابعة وتواصل الى سن الثانية عشرة" " كنت في السادسة وكان ذلك من طرف خالي الذي يكبرني بست سنوات" إلخ.

²⁰ https://facealinceste.fr/ هو موقع هذه الجمعية التي تقاوم زنا المحارم: أسستها إيزابيل أوري، الناجية من جريمة زنا محارم. ان ظهور كتابها La première fois j'avais six ans (op.cit). أثار تطور أكبر جماعة في أوروبا التي ينتمي اليها 7000 عضو

²¹ لن نقوم بتحليل الا المعطيات المتعلقة بالفتيات والنساء، أما شهادات الرجال والفتيان فهي بنسبة قليلة غير ممثلة



شهادات النساء تشير الى اعتداءات تعرضن لها في سن تكون فيه الفتاة صغيرة بشكل لا يجعلها تدرك او تفهم ما يُفعل بها. هناك من تصرّح بأنها استسلمت تحت الإكراه او الخوف، في بعض الشهادات كانت الضحية " تعتقد ان الأمور تقع بذلك الشكل"، فئة أخرى كانت تظن ان "الفعل" يندرج في إطار لعب الأطفال. هذا ما يرد في شهادة احد أعضاء مجموعة #انا زادة التي تقول انها حين كانت في سن السابعة، تعرضت للتحرش من طرف ابن عمها الذي يكبرها سنًا، حين يدعوها للعب مع مجموعة من الأصدقاء لعبة الغميضة ويتعمّد استدراجها الى أماكن منزوية ليضمها اليه ويقبّلها.

في سياق آخر تتحدث امرأة أخرى عن ذكريات من طفولتها، حين كانت تجد نفسها في لحظات خلوة مع صديق أخيها في غياب هذا الأخير، ليتعرى أمامها ويكشف لها ويداعب أعضائه التناسلية. تقول: "لم أكن أفهم شيئًا مما أرى أمامي، كنت ادرك فقط أنّ والديّ قد قالوا لي أنّ تلك هي أشياء غير لائقة!". هذا، وخلافا للكثير من الأطفال، فلقد كانت هذه الطفلة محظوظة آنذاك لانها وجدت لدى أبويها تفهمًا، للاستماع لها وطمأنتها في موضوع يعتبر لدى معظم الناس محرّمًا. إنّ كل الحالات التي وردت شهادتها، كان الوعي بما وقع، سواء أثناء الحادثة او بعد سنين، سببا في تعميق الصدمة لدى الضحية.

حين وقعت الحادثة أثناء الطفولة، كانت تعتبر اعتداء على الحياء / اعتداء بالفاحشة، او تحرّشا من طرف كهل على طفل صغير السن. او من طرف مراهق يكتشف حياته الجنسية، ويتباهى بها بان يعرضها للأنظار الآخرين طالبا مشاركتها فيها :

"كنت واهي في زيارة الى إحدى قريباتها، التي كان لها ولد بصدد الإعداد للباكالوريا، لقد كان طوال الوقت يدعوني لمساعدتي على القراءة. كان في غرفته يكشف لي أعضائه التناسلية، ويحاول ضمني الي جسده، من حسن الحظ أنني تمكنت من الإفلات منه، لم أكتشف لأني شيئًا مما وقع خوفا من العقاب"



ان الذين يستغلون الأطفال جنسيًا، هم يعرفون جيدا نقاط ضعف هؤلاء، يغرونهم بالحلويات، واللعب والحيوانات المنزلية.

"كنت في الخامسة وكنا نتبادل الزيارات مع جيراننا. كان احد ابناء الجيران في سن السابعة عشرة، يدعوني للدلتحاق به في احد المنازل القريبة التي كانت بصد البناء، لإعطائي الشوكولاتة و يعرض أمامي أعضائه التناسلية، ويتحرش بي، تكرر ذلك عدة مرّات الى ان وقعت الحادثة مع فتاة أخرى من جيراننا التي اندفعت في الصراخ، فانطلق الجيران لنجدتها وانهالوا عليه ضربا."

إذا فالمحيط القريب مصدر للخطر، الا انه في بعض الأحيان يمكن ان يكون مجالا تستمدّ منه الضحية دفاعها لتقاوم شتى أشكال الاعتداءات والاستغلال الجنسي، وذلك بالاستماع لها، و فضح الاعتداء، و مدّ المساعدة، و التفهم بل و العناية أيضا.

إنّ الشهادات والكلمات الحرّة التي أفرزتها # أنا زادة، كشفت عن العديد من العقبات التي تحول دون إسداء العناية للأطفال الذين تعرّضوا للعنف الجنسي في سنّ مبكرة، منها عدم أخذ الضرر الحاصل بجديّة. فنرى مثلا انكار المحيط الاجتماعي لما حصل او إبراز نوع من التسامح وذلك بالاستناد الى فكرة خاطئة مفادها بانه مع مرور الزمن ستتنسى الطفلة حين تكبر ما عاشته في الصغر. لقد اثبتت الأبحاث السريرية بطلان هذه التبريرات²². اذ أبرزت ان ضحية زنا المحارم يعيش في المدى القريب عوارض خطيرة : اضطراب النوم، فقدان شاهية الأكل، فشل مدرسي، مغادرة المنزل، غياب الاعتزاز بالنفس، فقدان الثقة في النفس وفي الآخرين، خوف، انهيار عصبي، انحراف مبكّر إلخ. أما على المدى البعيد فتذكر الأبحاث : الإحساس بالوصم في حياة جنسية مصدومة ويتمثل ذلك، بالعجز الجنسي، البرود، عدم الإحساس باللذة إلخ.

المراهقة : ولادة الجنس في الجسد و تهوين العنف

في سن المراهقة خاصة بين 12 و 18 سنة، تكون الفتاة عرضة لشتى أنواع السلوك من طرف الذكور، شبان وكهول، لجلب انتباهها. يكون ذلك باللمس، والاحتكاك الجسدي و الجنسي

22 انظر خاصة :

L'enfant victime d'inceste: De la séduction traumatique à la violence sexuelle par Yves-Hiram Haesevoets Van Gijsegheem, Philip D. Jaffé. Édité par De Boeck, 2015.



ويقع ذلك في بعض الأحيان داخل المحيط العائلي (ابن عم أكبر سنا، أو فرد من الاقارب، او ممن تمنحهم العائلة الثقة، او ممن لديهم سلطة) او في المدرسة او في الاماكن العامة.

بعض النساء اللاتي أدلين بشهادتهن في حملة #أنا زادة، لا يتذكرن في أي سن وقع الاعتداء عليهن: "كنت صغيرة حين كنت أصاحب أمي لزيارة عمتي، وكان ابنها..." في هذه السن المبكرة تكون الذكريات غامضة، مغمورة في أعماق النفس:

"كنت على خطأ، وكنت خائفة من ان تعاقبني أمي، لأنني عرضت نفسي للخطر، كان عمري أقل من عشر سنوات، كيف كان يمكنني فهم وإدراك شيئا من ذلك، لم أكن افهم أنني كنت أساعده على التلذذ حين كان يطلب مني ملامسته، كنت أتصور ذلك نوعا من اللعب، و لكن كنت أحس بصفة ملتبسة أن هناك شيئا ما مثير للريبة"

تشير الدراسات القليلة المتوفرة لدينا، بأن العلاقات الجنسية في سن المراهقة غالبا ما تروى بصفة سلبية، وبأن تمثيلات العنف و المداعبات الجنسية والاعتداء تقترن لدى الفتيات بشعور بالذنب و بضرورة التزام قانون الصمت. إن الشعور بالذنب مصدره الاضطراب أمام الشهوة الجنسية للمراهقة، لذلك تختار الصمت وبهذا الاختيار يتعمق الإحساس بالذنب. لنذكر هنا الدراسة التي قام بها CREDIF سنة 2019، تحت عنوان " العنف المبني على النوع والمسلط على المراهقات، واحتياجاتهن من خدمات"، والتي تقول بأن غالبية الفتيات اللاتي تتراوح اعمارهن بين 12 و 18 سنة يجهلن قانون -58 2017 كما يجهلن حقوقهن في مجالي الصحة الجنسية و الإنجاب. فهن يعتقدن بأن العنف لا يتعدى العنف الجسدي وهو ينتج عن الهيمنة الذكورية. كما تشير الدراسة إلى أن هؤلاء الفتيات يستبطن داخلهن العنف اللفظي أو النفسي، وذلك لعدم قدرتهن على إدراك أو فهم ذلك كنوع من العنف.

تلعب التنشئة الاجتماعية دورا كبيرا في إعطاء المراهقين / ات توجّها أمام التحرش والعنف الجنسي. لذلك يُعتبر السلوك العنيف الذي يتجاوز الحدود جزءا من التنشئة التي تعطى للذكور لتدريبهم على قيم الفحولة. فلكي يعتبر الذكر "رجلا" يفترض أن يكون صلبا، متمردا،



مشاكسا، متهورا، ومغامرا(يتناول المخدرات والكحول ويهوى السرعة)، كما يفترض أن يكون متحملا للأوجاع الجسدية والنفسية، يتجاوز الخوف ولا يتردد على استعمال الشتائم تجاه النساء و " الضعفاء"²³ إن طقوس الرجولة التي تتحدى القواعد الاجتماعية السائدة تنتمي لما يسميها بعض علماء الأنثروبولوجيا "اختبارات العبور"²⁴ إن ثقافتنا العائلية والمجتمع و النظام الاجتماعي السائد يساهمون في تكوين البعد الاجتماعي للرجولة، ولكن ليس دائما من خلال قيم مسالمة. بل ان العكس هو الذي يقع، فالنموذج التقليدي للرجولة يستند إلى الأقصاء والتمييز ولا ينتعش الا إذا غُذي الضغينة لدى المضطهدين، والتنافس العنيف، بل والحقد بين البشر²⁵. فالرجولة هي أمر ملزم للذكر هي "قاعدة تفرض القوة والسلطة قبل كل شيء لتضمن موقع المهيمن".

ان التحرش بالغتيات البالغات وبالمراهقات ظاهرة سائدة ولكنها تأخذ مع التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال أشكالاً جديدة، خاصة مع التحرش في الفضاء الإلكتروني²⁶. ان أعمال العنف الأولى عبر النات تتعرض لها الفتاة بين سن الرابعة عشرة والسادسة عشرة، حين تكون المراهقة ذات نفسية هشة بصفة خاصة. تقول نتائج دراسة تهم 14000 امرأة تتراوح أعمارهن بين 15 و 25 سنة في 22 بلد²⁷ ان 6 نساء من بين كل 10 سبق وان تعرضن الى اعتداء و تحرش عبر النات". إن الشبكات الاجتماعية وعالم المراهقات يظلون عرضة للتنمر الذي تتعرض له 39% من نساء ما يسمى بجيل Z (اي جيل المولودين بين 1997 و 2010)، كما يهتم التحرش 37% من اللاتي يشملهن الاستطلاع. ان المخاطر التي تحق بالضحايا اللاتي هن في طور بناء هويتهن تتمثل في فقدان الاعتزاز بالذات، شعور بالذنب وبالعجز، احساس بالضغط بل بالانهيار النفسي. والاكئاب.

التحرش بالقاصرات في المدارس الإعدادية والمعاهد الثانوية

يوجد المتحرشون في طريق المدرسة او أمام المؤسسات التربوية، ومن الممكن ان يكونوا من بين المدرسين.

²³ Nadia Tazi, Le genre intraitable. Politiques de la virilité dans le monde musulman. Editions Sud. p17.

²⁴ David Le Breton, Rites de virilité à l'adolescence. Fabert Editions, Bruxelles, 2016.

²⁵ Lucile Peytavin, Le coût de la virilité : ce que la France économiserait si les hommes se comportaient comme des femmes. Editions Annie Carrière, 2021. p77.

²⁶ Dorra Mahfoudh-Draoui, Le cyber harcèlement sexuel chez les jeunes. Publications F.F.Ebert/Génération Egalité. 2021.

²⁷ Alice Huot, Cyber harcèlement : Facebook le pire réseau pour les adolescents. in ADN Tendance mutations. Octobre 2020.



"في المدرسة الإعدادية كان لنا أستاذ كثيرا ما يلامس التلميذات، ويدخل يده في الظهر لفك أزرار حاملة الصدر، كما يوجد تلامذة ذكور يفتحون أزرار سراويلهم، كما تعرضت في سن 17 الى تحرش جنسي من طرف أستاذ آخر! لقد عشت في الخوف منذ الرابعة من عمري، أصبحت ارى الجنس في كل مكان" كنت أكره المادة التي يدرسها ذلك الأستاذ لكنني كنت مجبرة على التعلّم. لقد اكرتني محلا في الطابق السفلي من منزلنا، وكان يعطيني دروسا خصوصية مرتين في الأسبوع "

تتعرض فتيات المعاهد خلال فترات " اللعب" مع الأتراب وفي بعض الأحيان خلال التواصل مع الأساتذة، الى التلامس الجنسي. من خلال الشهادات التي أدلت بها بعض أعضاء مجموعة # أنا زادة، في سرد ذكريات سنوات الدراسة تظهر عبارات الحسرة والندم لما كان منهن من شعور بالضعف و تسليم بالعجز وعدم القدرة على ردّ الفعل، والتعبير اثناء الواقعة :

"كنت في الرابعة عشرة من عمري وكان استاذي مثالا بالنسبة لي، والذي كان في سنّ متقدمة. كان يحرص على ان يستبقيني عند نهاية الحصة و حين يغادر التلاميذ القسم. كنت ألوذ بالفرار في بعض الأحيان مع الاضطرار للعودة في ما بعد للبحث عن أدواتي المدرسية. في الأيام التي ارتدي فيها فستانا كان يحدق النظر في جسدي كأنه يريد اختراقه، و كان يخلق الحيل لينفرد بي في القسم، و في لمح البصر يمرر يده على شعري، ثمّ على صدري ثمّ بين فخذي، واجد نفسي مضطرة للصمت تحت ضغط التهديد".

إنّ الضحايا، من صغار السن، أو حتّى من اللاتي هنّ اكبر سنّا، يتعرضن للاعتداء الاول في غفلة منهن، لذلك يكون رد فعلهن الاول حالة من الوجود والصدمة²⁸، وهي وضعية تضعهن تحت

28 وهي ظاهرة معروفة لدى الأطباء النفسيين: خلال عنف أو اغتصاب، وكردة فعل على الرعب الأقصى الذي تعيشه الضحية، هناك آليات مقاومة بيولوجية وعصبية تنطلق في الفعل، يفرز الدماغ مادة المورفين، والكيانين لايك، للتخفيف من الضغط. تجد الضحية نفسها في حالة تشنج كبير، كأنها انفصلت عن جسدها، وهذا ما يقلل من معاناتها النفسية والجسدية. هذه لا تزال مجهولة، والشخص ضحية الاغتصاب يجب عليه ان يثبت انه لا يكذب، وهذا من ضمن الأسباب التي تدفع الكثير من الضحايا الى عدم رفع شكاية. :



رحمة المعتدي. ان وضعية الخوف والرعب، تشلّ حركة الضحية و تسلبها أدوات المقاومة، وهذا بالضبط ما يثير اهتمام الشخص المعتدي. هنا تتجمد الضحية بفعل الحياء والخوف مع ما يرافقه من شعور بالذنب :

حينها كنت في الرابعة عشرة من العمر، وجدت رجلا يتبعني وأنا في طريق العودة من المدرسة، كان راكبا لدراجة نارية وقد تعري من سرواله كاشفا عورته، "رغم أنّ شعري لم يكن منسدلا، ولم اكن أتصنّع الاناقة والتدلل

يعتبر التحرش الجنسي علاقة سلطة بأثم معنى الكلمة، وسطو غير مرئي²⁹، يمارسه الرجال على النساء، وخاصة على صغيرات السن وعلى الضعيفات منهنّ. ان الضحية من هذا الصنف الاخير لا تدرك دائما الفرق بين المجاملة التلقائية البسيطة وبين المزاح الأبوي المتصنع الذي يخفي التحرش الجنسي داخله.

تشير الشهادات الى أنّ التحرش الجنسي في المعاهد والمدارس الإعدادية على المراهقات يعتبر من بين أسباب الانقطاع المدرسي. لكن غالبا ما تلجأ الفتاة (والفتى) الى الصمت، لان الكثير من العائلات تواصل اعتبار العنف جزءا من النظام التربوي. فالدراست التي قامت بها اليونيسيف تؤكد أنّ العنف ضد الأطفال يظلّ ممارسة منتشرة بصفة موسعة داخل المجتمعات: أكثر من 80% من الفتيات والفتيان من الذين تتراوح أعمارهم من 2 الى 14 سنة، سواء كانوا من الأوساط الفقيرة او الغنية، تعرضوا لنوع من العنف (عقوبة نفسية او جسدية) في إطار العائلة. كما أنّ الإحصائيات تشير الى أنّ طفلا من بين خمسة أطفال دون الخامسة قد تعرّض الى سوء معاملة او الى إهمال.

تعتمد بعض العائلات الى ارغام الطفل على الانصياع للطاعة و الخضوع الى من له سلطة. تطبع هذه الوضعية البنية العائلية من الصنف الأبوي أين يمسك الرجال بالسلطة وهي بذلك تعيش في هوة مع النصوص التشريعية التي تدعو الى احترام احتياجات و حقوق الأطفال و الى قيم المساواة بين النساء والرجال.

29 انظر الى ما كتبه فانيسا سيرينغورا أين تتحدث عما فعل بها مغتصبها الكاسر، الكاتب غابريال ماطناف عندما كانت بين 13 و 15 سنة. عقب صدور هذا العمل سحبت من الأسواق كتابات هذا الاخير وخاصة منها يومياته حول الذين أعمارهم بين 13 و 15 سنة، أين يروي مغامراته الجنسية واغتصابه لقصر



لا يحتاج الأمر اليوم الى التدليل، فالعديد من الدراسات في علم النفس حول حماية الطفولة اثبتت ان الاستغلال الجنسي والاغتصاب اللذان يتعرض لهما الطفل او المراهق ينجّر عنهما أضرار نفسية واجتماعية عميقة و دائمة. تبرز هذه الأضرار في سن الكهولة بصعوبة الانخراط في علاقة دائمة او تكوين علاقات حميمية مرضية.³⁰

الطلبة بين العلاقة البيداغوجية وعلاقات الهيمنة

في بعض الأحيان يمتد العنف الذي وقع في سن الطفولة او المراهقة ليتواصل في فترة الكهولة وبداية الدراسة الجامعية. يعتبر التحرش الجنسي خلال الحياة الجامعية، وهو ظاهرة نسبياً منتشرة في غالبية البلدان، كنوع من "طقوس العبور". ففي كل المجتمعات سواء كانت تقليدية او حديثة، هناك طقوس عبور، عنيفة في بعض الأحيان، ترافق التغييرات الكبرى التي يعيشها الفرد خلال مسيرة حياته. ان ممارسة العنف والتحرش الجنسي تجاه النساء و الفتيات، يرسّخ ويديم الهيمنة الذكورية.

وهذا ما يفسّر ان تكون الجامعات، و المدارس العليا والمركبات الجامعية مسرحاً لأعمال معادية للنساء ومجالاً للتحرش الجنسي. لم تتوقف الجمعيات النسوية ومناضلات الحقوق الإنسانية على التنديد بظاهرة ما ينتج من "طقوس العبور" كألعاب التنكيل³¹ Bizutage و ممارسات العنف الجنسي الأخرى. فالحديث اليوم يتعلّق "بثقافة الاغتصاب" التي تجبر في بعض الأحيان الطالبات على الانقطاع عن الدراسة. ومهما حاولت بعض الجامعات³² من فرض قاعدة الرضا (كشرط للمشاركة) و مهما تعددت حملات التنديد³³، فإن ذلك لم يقض على ممارسات التمييز القائمة على الجنس المعروفة في مثل هذه الفضاءات.

بعد ظهور دراسات أنجزت في تونس³⁴، صرّحت بعض النساء من مجموعة #أنا زادة، اللاتي زاولن تعليماً جامعياً، بما تعرضن له منذ السن 18 من تحرش جنسي مباشر او في الفضاء الإلكتروني من طرف زملائهم من الطلبة الذكور، أو من أعوان الإدارة وحتى من الأساتذة: "كنت طالبة في إحدى المعاهد العليا.." و قع ذلك وأنا في الكلية، في السنة الثانية.." إلخ.

³⁰ Clementine Gérard, Conséquences d'un abus sexuel vécu dans l'enfance sur la vie conjugale des victimes à l'âge adulte : in Carnet de notes sur les maltraitances infantiles, 2014/ 1.

³¹ حسب الغاموس اللغة الفرنسية، بطقس تعليمي، للارتقاء، يضعه القدامى في المدرسة، او داخل مجموعة، للذين سيأتون من بعدهم، يتمثل في مجموعة من أعمال التنكيل والإهانة، التي قد تبدو مضحكة لكنها أيضاً درامية. هذه الممارسة و قع منعها في العديد من البلدان

³² نذكر على سبيل المثال جامعة دوفين-باريس، التي أنشأت سنة 2018 خلية تسهر على منع التمييز والعنف الجنسي والأعمال التنكيل بزويّات، ومعاينة فاعليها، في إطار سياسة تهدف الى جعل الجامعة فضاء مساواة (المصدر:

Expériences des discriminations, du bizutage, et des violences sexuelles par les étudiant.e.s : Rapport sur la situation à l'université Paris-Dauphine, par Céline Bessières et all. 2018.

³³ نذكر مثلاً #BalanceTonStage وهي مبادرة طلابية، ترفع الستار وتفضح حالات التحرش الجنسي على الطالبات خلال فترة الترخيص

³⁴ درة محفوظ الدراوي Le cyber harcèlement sexuel: une nouvelle forme de violence basée sur le genre op.cit هذه الدراسة تكشف حسب بحث عبر النات على 2436 فرد من الجنسين، ان 92% هنّ من النساء بين 18 و 39 سنة وأكثر من النصف (50,6%) من الطالبات



تعرضت العديد من الطالبات خلال المسيرة الجامعية او خلال فترات التبرص الى أشكال من العنف الجنسي (تعليقات غير لائقة، كشف لأعضاء جنسية، أقوال مهينة). هذا العنف وقع تحمّله كاختبار خضوع فرضته ثقافة الفحولة، كشرط لاندماج في فريق النظراء، لكن بأي ثمن؟ :

بعد نهاية سنوات الدراسة في الطب، كنت في تبرص اختصاص. كنت اشتغل " مع زميل لي وهو في نفس الوقت رئيسي المباشر، كان يستقبلني بعبارة : " أهلا ايته المومس...أنت دائما هنا؟" هو يتكلم دائما بنفس العبارات النابية والمهينة " أراك غير مركزة، هل ينقصك الجنس هذه الأيام ؟" لا يسلم منه أحد، لا النساء من التقنيين، ولا المرضى، الجميع لا يسلم من بذاعة أقواله التي لا ترتفع فوق الحزام. عندما يكون المريض تحت تأثير المخدر، يغتنم الفرصة ليكشف لي عن عضوه التناسلي... حين يتكلم لا يتوقف عن ملامستي. كنت مضطرة لتحمل هذا، ليس هو الشخص الوحيد! وملزمة الصمت، ومغادرة المكان دون ردة فعل، كنت اشعر بأني بلا قيمة امام هذا الرجل، لا أساوي شيئا، ولو كشفت الأمر لخسرت مستقبلي

أمام مثل هذه المشاكل، ونظرا لرفضهن عروض هؤلاء الأساتذة، قررت الكثير من الطالبات مقاطعة الدروس، بل إعادة السنة. كما يعتمد بعض المتحرّشين في الفضاء الجامعي الى الإفصاح عن استعدادهم للكشف عن مواضيع الامتحان لمن تقبل دفع "مقابل جنسي". هنا تجد الطالبات أنفسهن في وضعية العاجز عن تقديم شكوى نظرا لنقص في الأدلة، وعدم استعداد السلطة الإدارية للتعامل مع المشكل بجدية، و غياب المساندة من زملائهم الطلبة، فضلا عن الخوف من انتقام المتحرّش.

في نهاية الأمر نرى ان التحرش في الجامعة او في باقي مؤسسات المجتمع هو تعبير عن العلاقات السلطوية بين النساء والرجال. هو بمثابة آلية دقيقة تهدف ليس فقط الى تأديب وترويض سلوك النساء، بل لإزاحتهم من مجال الحياة الفكرية و الاجتماعية، وإنتاج المعارف ونقلها.



التحرش الجنسي القائم على النوع في الفضاء العام: "الخبز" اليومي للنساء والفتيات

ان النساء اللاتي تجربن على الكلام في الفضاء العام من خلال حركة #أنا زادة، قمن بلفت الانتباه الى مشكل وقع تهوينه لزمن طويل : التحرش في الشارع. تتعرض النساء بشكل مبكر الى التحرش في الطريق العام ويكون ذلك في شكل، التصفير، التعليق على اجزاء معينة من جسد المرأة وعلى مظهرها الخارجي. منذ سن البلوغ تتفطن وتعي الفتاة انها موضوع رغبة جنسية. يولد احساس لدى بعض الفتيات بأن جسدهن ليس ملكا لهن ويقترن اكتشاف الأنوثة لديهن بنوع من الضيق والقلق.

غالبا ما يكون المتحرشون في الطريق العام مجهولين³⁵. تشير الدراسة التي انجزها الكريديف CREDIF في 2016، على 3878 امرأة تتراوح أعمارهن من 18 الى 64 سنة، أن 87,2% كن ضحايا عنف جنسي، و80,3% تعرضن الى عنف جسدي، كما ان 78% كن ضحايا عنف نفسي، في الطريق العام.

تتحدث الشهادات في هذه الدراسة عن أصناف المتحرشين، الصنف الاول من الذين يتبعون أثر المرأة، سواء مشيا على الأقدام أو عبر دراجة نارية، او في سيارة، الصنف الثاني، من الذين يلتصقون بجسد المرأة للاحتكاك به في وسائل النقل العمومي.³⁶

"كان ذلك حين كنت في الجامعة، اذكر اليوم الذي كنت في طريق العودة الى الحي الجامعي عبر الميتر، احسست بشيء يتحسس جسدي تحت السترة، تجمدت في مكاني. كانت يد الرجل المتقدم في السن ترفع السترة ثم الفستان... منذ ذلك اليوم قررت نزع الحجاب لأن الرجال في بلادي، لا يترددون في نزع ثياب المرأة، أكانت محجبة أم لا، يجردها من ثيابها حتى بنظراته!"

³⁵ البحث الميداني الذي قام به الكريديف سنة 2016 يشير الى ان 8,72% من النساء كانت ضحية اعتداءات عنف جنسي، وان 80,3% من العنف الجسدي، و78% من العنف النفسي مصدره رجال مجهولون.

³⁶ انظر الدراسة التي انجزها الكريديف حول العنف في الفضاء العام (2016).



في نفس السياق تقول دراسة الكريديف أنّ العنف الجنسي في وسائل النقل، 9 على 10 من الحالات يمارسه أحد الركّاب.

"كنت في الثامنة عشرة من عمري، تعرضت لأشد أنواع الضغط وأنا طالبة كنت استنشيق رائحة الكحول مما يتنفسه احد الرجال في المحطة، والذي لم يتوقف عن التحديق فيّ، منذ وصلت محطة الحافلات، لم أكن أشعر بالأمان، اقترب مني الى حدود الرصيف، لم أكن مطمئنة بالمرّة، اقترب مني ونظر إلي من الأعلى الى الأسفل ثم قال: جميلة أنت! كم عمرك؟" لم أجبه وتعمدت شرب الماء لتجاهله، حينها اقترب مني أكثر فقفزت اجري في الطريق، غير مبالية بقدوم سيارة كانت تجري بسرعة، كادت تصدمني بفعل هذا الرجل، أما سائق السيارة هو الآخر لم يدخر جهدا لإيذائي واندفع يشتمني و ينعطني " أنت يا مومس! يا عمياء!" واندفعت اجري و أنا ارتعش، لا التفت للوراء.

لقد بلغت ظاهرة الرجال الذين يتحرشون فيلتصقون بالنساء في وسائل النقل العمومية حدا اضطر بعض البلدان الى أخذ مقاييس خاصة. في فرنسا مثلا اختارت السلطات ان تنشئ فرقة من الشرطة في زيّ مدني لتتبع والتعرّف على المعتدين وإيقافهم.

ان الشهادات الواردة من النساء في مجموعة #أنا زادة تجاه هذا النوع من الاعتداء تؤكد جميعها ان الضحية لم تجد أمامها الا الخوف وعدم القدرة على الحركة. ردة فعل الضحية في غالب الأحيان تختصر في استراتيجية تحاشي المواجهة مع المعتدي، وقلّة من النساء ذهبت الى حد رفع شكوى.

انّ الحياة اليومية للنساء اللاتي أدلين بشهادتهنّ تحتوي على اعتداءات أخرى، تمسّ الحياء، او ما يمكن تسميته التلذذ بكشف الأعضاء التناسلية امام الآخرين. انهم رجال في الغالب يعرضون امام الأنظار، اي في أماكن متاحة للعموم جزءا من عوراتهم.³⁷

³⁷ حسب القاموس Le Robert: "Le voyeurisme أي التمتع بالنظر، هو سلوك من يلاحظ بتلذذ دون يرى" انه "الشخص الذي يشاهد قصد التمتع، ودون ان يتفطن اليه احد، مظاهر الحياة الجنسية للآخرين". يسمّى في مجال العلاج النفسي الشاذ جنسياً. أما Exhibitionnisme فهو يخضع الى التدرج، ابتداء من "من الذي يكشف للآخر، يعرض، يفعل، يستعرض" وصولاً الى "التباهي دون حياء". في الطب النفسي يعتبر هذا "شذوا جنسيا" هوسا مريض يدفع البعض لكشف أعضائهم الجنسية



هذا الصنف من الرجال يعترض طريق النساء والفتيات، في شوارع المدن الكبرى، أمام المعاهد، وقاعات الرياضة أو هن في طريق العودة الى بيوتهن. تقول مجموعة من النساء أنها تعرضت الى التلصص من طرف رجال ترصدونها في بيوت الاستراحة العمومية، أو وقع تصويرها خلسة حين كانت ترتدي ثيابها (في غرفة بنزل، في مستشفى، قاعة رياضة إلخ).

حتى وان كان هذا الفعل غير مرفوق بعنف جسدي الا انه في الحقيقة يعتبر عنفا لانه وقع بدون رضا الطرف الآخر و هو تهديد و تعدي على كرامة هذا الاخير.

في دراسات سابقة أنجزناها حول الموضوع، في إطار عمل قام به الديوان الوطني للعائلة والسكان سنة 2007³⁸، وتحت عنوان " الإنصاف في النوع الاجتماعي والوقاية من العنف تجاه النساء"، أبرزنا أن الصور النمطية حول النوع تعتبر بمثابة عوامل خطر. فحين تتعلق هذه الصور بالعنف النفسي، واللفظي أو الاقتصادي فإنها تظل مخفية مستبطنة لا تثير قلقا. في هذا السياق يقول أحد الباحثين³⁹ " ان الصور النمطية هي الأساس الذي يجعل العنف ممكنا لا يثير تساؤلا لدى الفرد وخاصة لدى المجتمع ". فعلا، فالصور النمطية تحول دون الوعي بالعنف الذكوري تجاه النساء، رغم الحجم الحقيقي الذي أخذته هذه الآفة الاجتماعية.

التحرش في أماكن العمل: التصدي للمقدمات و إقصاء الضحية الشاكية

ان التحرش في أماكن العمل يعتبر من أشكال التمييز الأكثر شيوعا وهو يكلف الأفراد والمجموعة ثمنا باهضا . وهو من أنواع العنف الذي لا يقع فضحه، لان الشكاية لا يمكن التكهن بمصيرها، نظرا لصعوبة توفير الأدلة من طرف الضحية والتي تخشى في الاخير ان تُتهم بالافتراء.⁴⁰

حسب منظمة العمل الدولية، يُعرّف التحرش الجنسي في العمل " كسلوك جنسي عشوائي مهين للطرف الآخر، وهو يتخذ شكلين، أما شكل امتيازات مهنية إذا قبلت الضحية بالعلاقات الجنسية المطلوبة، (زيادة في الأجر، ترقية، البقاء في المنصب بل وحتى الانتداب إلخ)، وأما الزج بالضحية في ظروف عمل عنيفة إذا رفضت الضحية العرض الجنسي.⁴¹

³⁸ Dorra Mahfoudh-Draoui, « La violence de genre : un objet difficile à construire. Revue analytique et programmes d'action traitant de la violence à l'égard des femmes », in Equité de genre et prévention de la violence à l'égard des femmes (Edité. ONFP-2007).

³⁹ Daniel Walzer-Lang, Les hommes violents, Edit. Indigo et côté femmes, Paris, 1996.

⁴⁰ Luc Boltanski et al, La dénonciation, in Actes de la Recherche en sciences sociale. Vol. 51/ 1984.

⁴¹ إعلان متعلق بالمبادئ والحقوق الأساسية في الشغل، المكتب الدولي للشغل.



يكون التحرش لفظيا (تعليقات حول المظهر الخارجي، أسئلة عن الحياة الخاصة، احراج جنسي، مكالمات هاتفية او رسائل ملحة و متكررة وغير لائقة). كما يكون جسديا، ملامسات، اقتراب لصيق مزعج، عنف. كما يمكن ان يكون التحرش في العمل غير لفظي، كالإشارات ذات الإيحاءات الجنسية، عرض فاضح لأشياء جنسية دون رضا الطرف الآخر (فيديو، صور، الأشياء أخرى تحمل معنى جنسي). نأخذ على سبيل المثال هذه الشهادة:

"نعدما تسلمت زبي الشغل من طرف المقتصد، بدأ في طرح أسئلة شخصية، حول عائلتي، والدي، مكان السكني، مع من أسكن، ان كان لي رجل في حياتي العاطفية، إلخ انها أسئلة لا علاقة لها بها يربطنا، اي الشغل. فقلت في نفسي لا يهم، بما أنني لن أراه طوال الوقت، الا انه اصبح يأتي الى حجرة الملابس اثناء تغيير ثيابي، كنت أظن انه يمر بالصدفة الا انه كان يتوقف لينظر، لذلك كنت انتظرا! ثم يقول : هيا اريني كيف تغيري ملابسك أمامي!"

يكشف التحرش الجنسي عن العلاقات السلطوية التي تُبنى داخل الفضاء المهني. ان العنف الجنسي يعمّق من تأزم الوضعية الهشة للعديد من النساء الشابات اللاتي يقع انتداهن وفق عقد محدد المدّة إذن هنّ عرضة للطرد في أي وقت. ان هذا العنف يستهدف طبعاً النساء اللاتي يعشن في حالة هشاشة اجتماعية، جسدية، ونفسية، ولكن يستهدف أيضا اللاتي لديهن موارد لمجابهة مثل هذه الوضعيات.⁴²

لا يحتاج القول الى تدليل إذا قلنا ان التحرش الجنسي في أماكن العمل يعتبر إهانة، واستنقاصا لعمل المرأة، ويحطّ من قيمة العلاقات المهنية كما انه يحدّ مصدرا للضغط النفسي و فقدان الحافز للقيام بالعمل. لذلك نجد في العديد من البلدان تزايد المظاهرات كل سنة وحملات التنديد بالتمييز على أساس الجنس في العمل.⁴³ نجد ان التحرش الجنسي في تونس الى حدّ الآن لم يحظ باهتمام النقابات. في سياق من العلاقات السلطوية، و من اللامساواة الاجتماعية والمهنية، نجد ان التحرش يحدّ من وصول النساء الى مناصب القرار ويمنع امكانياتهم واصواتهم من التعبير بحرية.

⁴² انظر الشهادات #الازادة: التحرش الجنسي في الشغل،، لفضح التمييز الجنسي في الشغل (#PayeTonTaf, #PayeTaBlouse, BalanceTonBoss

⁴³ لنذكر مثلا BalanceTonStag لفضح التحرش الجنسي على الطالبات خلال التريص



خلاصة القول، مهما كان الشكل الذي يتخفّى وراءه التحرش في الشغل فإنه يعتبر تهديدا لحق المرأة في العمل، وخطرا على صحتها النفسية والجسدية، و على استقلاليتها الاقتصادية. فالتحرش قادر على إقصاء اداء المرأة و حرمانها من الترقّي وإجبارها على التنازل على مسيرتها المهنية و وضع حدّ لها. هذا التمييز يعمّق اللامساواة بين النساء والرجال و يقوّي السقف الزجاجي و يحرم البلاد من مؤهلاتها.

العنف بين الأزواج : صعوبة التحرر من رقابة الآخر

يتمثّل الكثير الاغتصاب كشيء يقوم به مجهول في فضاءات عمومية او شبه خاصة. دائما ما يقع التهوين من الاعتداءات والاكراهات التي يتعرّض النساء والفتيات لها في العلاقات الزوجية او أثناء العلاقات العاطفية. فالقانون 2017-58 رغم أهمية مكاسبه فإنه لا يشير الى الاغتصاب بين الأزواج. فالإكراهات الجنسية بين الأزواج موجودة دون ان يقع ضمّها الى شكل من أشكال العنف الجسدي، وهذا ما يجعل الاعتراف بها كعنف جنسي او كاغتصاب شيئا صعبا. وغالبا ما لا تتجرأ الضحية على رفع شكوى او التحدث به للقريبين منها.

لنذكر ان هذا المشكل يطرح سؤال الرضا والقبول بين الازواج. "ان الرضا المصرّح به او الضمني، المفصح عنه او المستبطن، يظلّ مسألة تتعقد في حميمية الذات"⁴⁴. ان بروز حركات مثل #MeToo او #أنا زادة، يثبت أولا أنّ ضمير "النحن" هو الذي ينتفض و يعبّر، ثم يأتي دور "الأنا" ليكشف عن صدماته. ان صراعات النسويات أبرزت " صعوبة التفكير في رضا مستقل للنساء في إطار زوجي تراتبي جعلته التشريعات يأخذ شكلا طبيعيا"⁴⁵. ففي مجال العلاقات الجنسية لا يعتبر التنازل او التحمّل رضا. لأنّ الرضا يفترض المساواة بين الطرفين ومساواة الشروط الاجتماعية التي تجعل الاختيار ممكنا. في الواقع الحالي للمجتمع التونسي لا يزال مفهوم " الواجب الزوجي" ثابتا بما في ذلك في ذهن القاضي.

غالبية الشهادات التي وردت في مجموعة #أنا زادة تتعلق بعلاقات بصدد التشكّل، يقوم بها شبان هدفهم الوصول الى الزواج. عديدة هي الروايات التي تسرد وقائع اعتداءات حدثت أثناء سنّ المراهقة او خلال التجارب الحميمية الأولى. ان هذا العنف الجنسي في إطار العلاقات الغرامية الأولى هو مصدر صدمة مضاعفة، لان الضحية مطمئنة لشعور الثقة الذي دفعها لمصاحبة المعتدي بملء ارادتها.

⁴⁴ Geneviève Fraisse, Du consentement, Editions Seuil, 2007.

⁴⁵ Alexandre Jaunait et Frédérique Matonti, L'enjeu du consentement. In « Raisons politiques» 2012/2 n° 46.



أنّ الرضا الأوّلي داخل العلاقة يجعل من الصعب فيما بعد على الضحية التنديد بخضوعها مكرهة دون رضا صريح على ممارسة الجنس. في هذا الصدد أكدت العديد من الشهادات على شعور العزلة والهشاشة مقابل قرينها العنيف، لان الضحية على اقتناع انها لن تجد من يفهمها، وسوف تقع ادانتها من طرف العائلة او الشرطة إن هي رفعت شكاية.

ان الشهادات حول العنف داخل العلاقات، سواء كانت في إطار الزواج او خارجه، تتحدث عن أشكال من العنف، كالتهرش، والعنف النفسي الذي يأخذ طابعا محطّما. فبعض الشهادات تنعت بالكابوس الوضعيات التي تعيشها الضحية لأنها عاجزة عن أخذ قرار و عن السيطرة على وقتها و على جسدها، اي بكلمة اشمل، على حياتها. ان الضحية تشعر بانها سجينه علاقة هي أوّل من يشعر بالذنب بالاستسلام لها. ولكي يضمن دوام السطوة على ضحيته يعمد المعتدي الى استراتيجية تضمن له التحكم فيها، وذلك بتحقيقها، واقناعها بانها "غير عادية"، وأنه من الضروري ان تعالج ... إلخ. تقول احدي ضحايا هذه العلاقات المذّلة، والتي نجحت في الخروج من قبضتها :

"لقت عشت معه طوال سنة، كنت خلالها التزم الحذر في اختيار ملابسني، كما أتجنب الانفراد به، طوال سنة كان يتحكم فيّ، لا يتوقف عن مؤاخذتي ولومني عن عدم استجابتي لرغباته، كنت انوي في كل مرة وضع حدّ للعلاقة، لكنني لا أعرف كيف كان يفلح في اقناعي بتغيير رأيي، و بأنني كنت أفهمه بشكل خاطئ، واني كنت غير عادية، بل مريضة، لا اشبه في شيء بقية الفتيات...وصلت الى الحد الذي اصبحت اتساءل ان كان فعلا محقا فيما يقول، وان كنت فعلا غير عادية، لكنني استعدت فيما بعد يقيني لأني كنت محاطة بأشخاص جيدين، ففهمت انه كان يفرط في استغلالي معنوياً وأنه هو المريض وليس أنا"

في العديد من الشهادات تُروى وقائع حدثت في فترة المراهقة، تتمثّل في علاقات جنسية بل عمليات اغتصاب كانت ضحاياها فتيات في سنّ مبكرة، يكتشفن العلاقات الغرامية. هنّ فتيات يُدفعن دفعا " لاكتشاف الجنس" من طرف شبان لهم غالبا نفس السنّ، يبحثون جاهدين على التجارب . هؤلاء الشبان غالبا ما تلقوا تنشئة اجتماعية من أترابهم تركز على صورة الفحولة والرجولة كهيمنة على لمرأة وجسدها.



تذكر هذه الشهادات العبارات التي كانت تقال لهن أثناء هذه التجارب الجنسية الأولى، من نوع "لا تنزعجي، سوف يعجبك الأمر فيما بعد!" "من الطبيعي ان تشعرى بالألم أوّل مرة!". هكذا يقع اكراه مثل هذه الفتيات على الاغتصاب، و يتعرضن للعنف الجسدي إذا رفضن الاستسلام. غالبا ما تقع هذه التجارب في أماكن لا تشكّل خطرا. هذا ما ترويّه إحدى النساء، التي تذكر كيف اغتصبها شاب كانت تخالطه، في منزل أبوي هذا الأخير وداخل غرفته:

"عقب تناول الغذاء مع والدته وأختها، دعاني للذهاب الى غرفته، ترددت، لكنه ألح كثيرا، [...] بدأ بتقبيلي، كان لا يتوقف على القول بأن الأمر سوف لن يتعدّى المداعبات، وبانه لا داعي للذعر، اذكر جيدا الخوف الذي انتابني آنذاك! كثير من الدموع! وأنا أقول بلا توقف "لا، لا ارجوك توقف!" كانت بضع دقائق، وهو يمسك بذراعيّ وينزع عني ثيابي، ثبتني تحته، ثم أدخل فيّ ... بكلّ قوة!! اذكر أنني نهضت وأنا أتألم في كلّ مكان من جسدي، ذهبت لبيت الاستحمام للتقيؤ. عدت الى بيتنا ذلك اليوم وأنا لا ازال بين الأحياء ولكن جزء من جسدي كان قد مات!"



آثار العنف الجنسي على صحته



الصدّات النفسية والجسدية

تؤكد الشهادات التي وردت الى مجموعة #أنا زادة، أنّ الصدمات النفسية الناتجة عن عنف جنسي، عن اغتصاب، عن زنا المحارم، حصلت اثناء الطفولة وتظلّ مؤثرة في نفسية الفرد و قد أصبح كهلا. يحتفظ الفرد بذكريات صادمة ومؤلمة تطفو الى السطح مع الإدلاء بالشهادة :

"كنت من ضحايا هذا الشخص حين كان عمري 12 سنة. اضطربت اشد الاضطراب، وفقدت السيطرة على نفسي حين رأيت وجهه بعد كلّ هذه السنين، لكن مع هذا فلقد مكّني ذلك من الحديث عنه للمرة الأولى، أنا الآن في الثلاثيين من عمري لم انس الحادثة ولم أتحدث بها لأحد"

هناك أشخاص آخرون صرّحوا بانهم فقدوا شعور الاعتزاز بالذات، والثقة في إقامة علاقات غرامية او علاقات صداقة. كثيرات هن النساء الشابات اللاتي يحملن اثرا لا يمحي و صعوبة في العيش مع قرين، مثل رفضهن لكل مداعبة، نظرا لان ذلك يعيد إليهن ذكرى واقعة الاعتداء.

"لا ازال أعيش الكثير من المعاناة، لا أستطيع العيش بصفة عادية، لقد اضطرت للذهاب الى عيادة الطب النفسي الاستعجالي، لم تعد لديّ احساس، من كثرة البكاء فقدت الحياة في داخلي "

نقرأ في الكثير من الشهادات التأكيد على ان العلاقات الغرامية خلال فترة المراهقة و المرور الى فترة الكهولة "مرحلة كل المخاطر" تعرضت خلالها الكثير من النساء الى أنواع من العنف الجنسي والجسدي. خلال المراهقة، نجد ان الفتاة، (تماما كالشباب المراهق) ليس لديها أية تربية جنسية، وهي تجهل جسدها، و الفرق بين المداعبة والعلاقة الجنسية الفعلية. لذلك نجد العديد من الشهادات تروي كيف ان العلاقة الجنسية كانت تحت الإكراه، بل العنف ودون رضا الفتاة.



حتى في العلاقات التي كان فيها الشباب من الأصدقاء ويحظى بثقة الفتاة، فإن هذه الأخيرة غالبا ما تجد نفسها في فخّ و يقع اغتصابها. انها وضعية صادمة نفسياً، جسديا واجتماعياً، لان الفتاة يولد لديها الشعور بالاحتقار، وعدم الأهلية لأية علاقة زوجية قادمة. هذا ما تؤكد هذه الشهادة :

"وجدت نفسي بين نارين ليس فقط لأنه اغتصبني ولا احد سوف يصدّق بأنني فقدت عذريتي بفعل العنف، بل لأنني لم اعد قادرة على الابتعاد عنه، فلا احد يرغب فيّ بعدما فقدت بكارتي، لقد فعل بي ما أراد، الى ان أصابه الملل، فتركني وذهب!"

ان البعد العاطفي المتبادل، والثقة التي تتولد عنه هو الذي يقيم الفرق بين علاقة وأخرى. لذلك يختفي الحذر تجاه المحبوب، وكل عنف نحو هذا الاخير يعتبر اعتداء على مساحة الاطمئنان، والثقة والأمان⁴⁶. وفي مختلف الشهادات التي لدينا بعض الآثار النفسية الجسدية التي عاشتها الضحايا. فمن الآثار الجسدية هناك شهادات تتحدث عن اوجاع، إصابات، و صعوبة الدخول في علاقات جنسية مع اي كان. اما عن الآثار النفسية فالغالبية تتحدث عن انهيار عصبي، فقدان الصورة الإيجابية عن الذات، الخوف و الشعور بالخلل المفرط وبالذنب.

الحياة الجنسية، والحياة الزوجية تحت أثر الاعتداءات

إن ضحايا العنف الجنسي يعيشون لفترة سنين تحت تأثير ما حدث لهم، قبل استعادة ما يشبه الحياة العادية.

"إن هذه العلاقة قد حطمتني كلياً، الى درجة أنني اضطررت الى التفریط في فرص علاقة مع اشخاص طبيين، لأنه ما من احد يحاول لمسي حتى اجد نفسي متجمدة، بلا حركة، وفي نفس الوقت عاجزة على تفسير ذلك! ثم التجأ الى القول بان كل الرجال يتشابهون، الى ان تعرفت على شاب، حدثته بكل ما وقع لي، فوقف الى جانبي وساندني الى أقصى حد"

⁴⁶ Boucher, S., J. Lemelin et L. McNicoll [2009]. Viol conjugal et trauma relationnel. Sexologies, 18, 141-146.



ان هؤلاء النساء، ضحايا الرجال الذين التقيين بهم، نادرا ما يلتمسن المساعدة من المؤسسات الصحية او الجمعيات. لان الشعور بالخجل والذنب يمنعهم من الاعتراف بتعرضهم للاغتصاب، وبأنهن ضحايا. لذلك قليلات هنّ اللاتي تلقين المساعدة النفسية لتجاوز الصدمة. إضافة لهذا، ففي مجتمع يمنع بل يدين العلاقات الجنسية خارج الزواج، تجد الفتاة الضحية نفسها بلا رصيد تحت رحمة مغتصبها.

في بعض الأحيان وخلال ما تقوم به الضحايا الصامدات كفعل لإعادة بناء الذات، يسوق الحظ إليهن زوجا او قرينا يسندهن ويعيد إليهن الثقة المفقودة:

"كنت ذكية وأعطي الانطباع بأنني قوية ومسؤولة، لكن بعد كل الذي عشته، فقدت الثقة في نفسي فالتقيت بقريني، ولم استطع أن أمنحه الثقة الا بعد مرور وقت طويل. أجد صعوبة في ان أعطي نفسي بتلقائية، ولا أجد أية متعة في العلاقات الجنسية التي غالبا ما ارفضها، ان حياتي دائمة التقلبات!"

تبرز هذه الشهادة ان مثل هذه المرأة محتاجة لاستعادة الثقة في نفسها، واستعادة تملك جسدها، وحياتها الجنسية لتكون قادرة على ان تعيش حياة زوجية أو/ و جنسية منتعشة.

الانطواء على الذات، الخوف من مجابهة الخارج، اخفاء الجسد

تلتجئ بعض ضحايا العنف الى استراتيجيات مثل الرقابة الذاتية و الانطواء على الذات، وذلك لمواجهة كابوس اللقاءات السيئة. فهي دائمة الحذر، تتخفى، و تجتهد في ان لا تُرى في الفضاء العام:



"أنا أبلغ اليوم من العمر 23 سنة، عندما أمشي في الطريق، اشعر بالخوف، دائماً الحذر، اقبض على مفاتيحي في شكل قبضة أمريكية، ابي متحفزة للدفاع، اطلب من صديقاتي المجيء الي عند الخروج، و مرافقتي الى منزلنا عند العودة، يقولون لي بأني أبالغ في الحذر واني مصابة بجنون الارتياب. أتفادي سيارات الأجرة والوسائل النقل العمومي ما أمكنني، لا اسمح لنفسي اليوم بارتداء، تنورة، سروال، شورت، او أثواب ملتصقة بجسدي، او تكشف أكتافي، الا إذا تأكدت بان هناك من سيأتي ليحملني في سيارة، ثم اعود للمنزل في سيارة"

فئة أخرى من النساء قررت إخفاء جسدها، أمّا باختيار ارتداء الحجاب او الالتزام باختيار الألوان الداكنة، فئة ثالثة اختارت لبس الملابس التي ترتديها كبيرات السن، وتتجنب كل ما يمكن ان يبرز رشاقة القوام. ان نوعية ردود الفعل هذه ظهرت في دراسات تونسية أخرى حول الحياة الجنسية⁴⁷ للنساء وعلاقتها بالارتداء الحجاب⁴⁸. ان اختيار الحجاب بالنسبة للعديد من المراهقات والنساء يعدّ نوعاً من الحماية من التحرش الجنسي وإخفاء الأنوثة.

فضح التحرش: يصنع " الضحية "

لا تتجراً أغلبية النساء على رفع شكاية عقب حدوث الاعتداء خشية اتهامها باستفزاز المعتدي، او بأنها " استدرجته " لذلك فهي تنال " جزاء فعلها ". لكن الان وبعد مضي سنين عن الحادثة كثيرات هنّ اللاتي ندمن على عدم رفع الشكاية، لأنهن رغم كل شيء لا يعشن في أمان، ولم يستعدن القدرة على مجابهة المعتدي او إثبات الاعتداء الذي حصل لهن:

⁴⁷ Nedra Ben Smaïl, Vierges ? La nouvelle sexualité des Tunisiennes. Lectures, Les livres. 2012

⁴⁸ Meriem Sellami, Sexualité préconjugale, souillure et reconstruction de soi. Les adolescentes au prisme d'une politique du corps féminin en Tunisie. L'Année du Maghreb, (17), 2017, 101-117.



"في تلك الفترة لم ارفع شكاية لأنني كنت اخشى ان اصبح المذنبه كما هو الحال للكثير من النساء في تونس. يضاف الى هذا عدم توفر ادلة لدي (يده التي تداعب، اقتراحه مبالغ مالية) لان التحرش وقع في مكتب. ان هذه الحادثة قد اثرت في كثير، (رغم انها لم تكن اغتصابا) لكن عجزني أمام استغلال النفوذ لا يزال يستثيرني الى اليوم"

رغم المصادقة على قانون 58-2017 لا تزال الأوساط الأمنية منغلقة وغير منفتحة بما فيه الكفاية على الضحية.

"ذهبت لرفع شكوى في القرجاني، أمروني بالذهاب الى غرفة في الطابق السفلي، قيل لي بأنه مكتب مختص في مقاومة العنف ضد المرأة والطفل، استقبلتني امرأة، نظرت اليّ مستغربة وقالت لي " مالذي بإمكانني فعله لصالحك الآن؟ " فأجبتها بأنه من مهامها فعل شيء ما، وبعد مرور وقت طويل أرسلتني الى عون آخر الذي قام باستجوابي ثم حرر محضرا، وأمرني بالذهاب في حال سبيلي دون اي تفسير. ان القانون بعيد جدا عن الواقع، نحن نتعرض للاعتداء في كل الأوقات دون ان تحرك مؤسسات الدولة ساكنا"

كثيرة هي شهادات النساء التي تؤكد على ان رفع شكاية ليس بالأمر الهين، نظرا لكثرة العقوبات في المحيط وخاصة في النظام القضائي. لدى هذه الفئة من النساء الضحايا شعور بأن كل شيء وجميع الناس قد تواطأوا ضدهن. صرحت احدى الضحايا بان قاضي التحقيق قام بطردها، رغم انه كان مدعواً للتحقيق لإدانة المتهم بالعنف وإحالة للعدالة:



"اليوم قابلت القاضي الذي طردني من مكتبه صارخا في وجهي: لقد كنت السبب في ما وقع لك، لدي عمل آخر غير ملفك للاشتغال عليه! وقبل هذا كله لن أضع الناس في السجن حسب طلبك أنت!" قضيتي في طور الانتظار منذ أكثر من سنة، ونفس القاضي عندما واجهني بالمعتدي عرض علي الزواج منه بما أنني حسب قوله مساهمة في الجريمة لأنني تحولت معه الى منزله"

هذه وغيرها شهادات تثبت صعوبة الاعتراف بالضحايا رغم المكاسب التي جاء بها قانون 2017-58 و حول الاغتصاب و الفصل الجديد 227 من المجلة الجزائية. إنَّ وضعية الإنكار والتهوين من حجم الاعتداء الذي تعيشه الضحايا يعتبر عنفا جديدا يضاف الى العنف الذي وقع، لكن رغم هذا فإن البعض من اللاتي كانت لهن الجرأة استطعن كسر جدار الصمت و التجنّد لرفع شكاية للعدالة:

"خرجت في الغد وفي عيني الدموع، وخلفا للكثيرات في تونس عزمت على مقاضاته، أخبرت عائلتي، أصدقائي و مشغلي و اتصلت بمحامتي"

لقد كانت ولادة مجموعة #أنا زادة خيرا استبشرت به الكثيرات من اللاتي تعرضن للعنف الجنسي، وهو فضاء أمكن لهن فيه التعبير عن معاناتهن، كما هو حال هذه الطالبة:

"أنا انتظر هذا اليوم الذي أصبح فيه بإمكانني فضح ذلك الشاذ الذي لم يرد ان يتركني وشأني حتى بعد أن ذهبت في حال سبيلي، لقد تتبع أثري واتصل بمدير الأبحاث الذي يشرف على دراساتي وهو فرنسي الجنسية، تحت تعلّة انه يريد زيارة المخبر الذي أشتغل فيه حاليا"



مع مرور الزمن تلتئم الجراح، وتتحلل الألسن عندما تكون الظروف ملائمة لذلك، هذا ما أصبح ممكنا منذ عشرة سنين بفضل تحرك الجمعيات و مختلف المؤسسات، والشبكات الاجتماعية التي تناضل من أجل مناهضة العنف الجنسي ضد النساء. ان ضحايا العنف اللاتي لم يجدن السند والعون لتجاوز اثر ما تعرضن له، تظل معاناتهن متواصلة لمدة سنين يطاردهن، الوصم، والعار، والشعور بالذنب، لا يقدرن على سرد ما عشنه:

"أنا لا أشعر بالخجل حين أقول تعرضت للاغتصاب واني ضحية! لكن لم أعد قادرة على الإفصاح عن هذا الا الآن! بعد مرور ثمانين سنين، منذ ان وقع اغتصابي، لأنني تمكنت من التحدث الى أشخاص طبييين وضعوني بين أيادي المختصين الذين تكفلوا بإسداء النصح و العلاج لي. لكن كم تمنيت لو تسنى لي الحديث قبل الآن! اي منذ ان وقعت الحادثة، تمنيت لو وجدت الاستماع والعون منذ ان تحدثت بالواقعة. ان السنين الثماني التي مرت كانت سنينا من الرعب، والكوابيس، والخوف. لا تديروا ظهوركم لشخص جاء يحدثكم عن عنف جنسي تعرض له! ان تفعلوا ذلك فأنتم تقذفون به في الجحيم!"

ردود الفعل داخل العائلة : قانون التزام الصمت

تلتجئ النساء الى الصمت، الذي تفرضه العائلة على الاستغلال الجنسي والاغتصابات التي يتعرض لها الأطفال و المراهقون، الذين يقع التضحية بهم في الكثير من الأحيان من أجل الحفاظ على انسجام وشرف العائلة :

"ذهبنا لملاقاة الجدة التي رويانا لها كل ما وقع، قالت لنا بان الخال كانت له هذه الحركات الغريبة، لكن يجب التفكير في العائلة! هذا ما صدمني كثيرا"

تعترضنا كذلك شهادات فئة من النساء اللاتي يجدن أنفسهن في مأزق حين يكون العم او الخال هو المعتدي. لذلك تضطر الأغلبية الى الصمت خشية ان تكون مصدر صدمة للعائلة :



"لقد تأكدت من انه خالي، لم أفهم شيئاً مما وقع...كنت امتنع ان اتحدث له عن ذلك..يضاف الى ذلك انه خالي..لقد كانت معاملة اخوتي لي لطيفة، اّما خالي فلقد كان غير ذلك... كانت الأمور في اضطراب متزايد في رأسي، حين كنت أتناهى بالنوم، اتركه يواصل فعله لكنه لم يتعدّ أبداً المداعبات"

تذكر هذه المرأة انها استجمعت ما لها من جرأة وتحدثت عن الأمر بممارسات الخال، لم يجد هذا الاعتراف اذنا صاغية، بل كان سببا في تدمير العلاقة بين الأم وابنتها :

"ذات يوم كانت لي الشجاعة الكافية لأتحدث لأمي عما وقع. لم أقل تقريبا شيئاً..... كنت أشعر أنّ العبرة تخنقني في حلقي، لم اكن ابكي، كنت أريد ان أقول كل التفاصيل لكنني لم انجح خلال خمس دقائق، كانت طويلة، الا تكرار هذه العبارة: "خالي يأتي الى جانبي في الفراش، خالي يأتي الى جانبي في الفراش"، أمرتني أمي ان أصمت...لقد اصبحت باردة نحو، كل ما قامت به هو ان غيرت مكان نومي في غرفة أخرى"

ان الشهادات التي أدلت بها النساء لم تتردد في ادانة سلوك بعض الأمهات والعائلات التي تتواطأ مع قانون الصمت. من هنا يأتي هذا التأكيد : " عندما يقال للطفل بان ما عشته ليس شيئاً يذكر، وانه يجب عليه ان يصمت حرصا على العائلة، فهذا يعدّ إجراما اكبر مما يفعله المعتدون!!". تعتقد النساء هنا بان العائلات بفعلا هذا تهدي للمعتدي " ميدانا مريحا للعب" و إمكانية مواصلة استغلال أطفال آخرين :



"هذا النذل.... استطاع ان يوقع بكل بنات عقه لأنه وجد الى جانبه تواطؤ كل من
"أفي البيت"

لم اكن ادرك مصدر القوة التي وجدتها داخلي لأتخلص من سطوته، والفرار "
والركض للالتحاق بوالديّ اللذان كانا في الغرفة المحاذية، انه لم يكن خائفا من
الفضيحة. التزمت الصمت"

ردود الفعل في أماكن الشغل

ان آليات مراقبة التحرش في أماكن الشغل التي وضعتها الدولة، والنقابات، لم تتطور عبر الزمن،
بل هي غير ناجعة، وردود الأفعال هي في غير صالح الضحايا اللاتي تقدمن بشكاية :

"لقد همّ بتقبيلي بقوة، ولتفاديه، صفعته على وجهه وقبضت بربطة عنقه،
ماذا كانت النتيجة! وقع عرضي على مجلس التأديب، ونلت عقوبة بثلاث أيام
طردي!! وبما أنّ المدير يتمتع بصورة الرجل التقى المتدين، فلذلك في نظرهم أنا
لا يمكن ان أكون الا مذنبة!! هذا هو التفسير الذي اعطته مديرة أخرى، امرأة
مثلي!"

تثبت هذه الشهادة كيف أنّ المتضررة صاحبة الشكاية تصبح متهمّة حتى في نظر زميلاتهن من
النساء. هناك بعض الضحايا اللاتي نجحن في فرض صوتهنّ، لكن في مواجهة ما يشبه
المحاكمة بأتم معنى الكلمة، مع التهديد بنقلهنّ للعمل في مكان آخر او الطرد. ومن النادر ان
تجد بين الزملاء من يقتنع بمساندتهن :



"كنت آنذاك شديدة الاحتياج لشيء من الشجاعة، أنا التي كنت متعوّدة على المجازفة بكل تلقائية!! كيف لي ابلاغ ذلك للمسؤولين المشرفين عليّ ؟ كان ذلك اكبر اضطهاد تعرضت له طوال حياتي! لقد اكتفوا باستدعائي الى اجتماع عاجل مع أكبر المسؤولين، و مع المسؤول المباشر لي كأني في محاكمة وقيل لي: " هل قالها لك بالعربية؟ (كأن نفس الامر بالإنجليزية او بأية لغة أخرى سيكون عاديا، او اقلّ ايلاما) - أنصتي! نحن نعرف انك عقلانية وطيّعة جدا، لذلك نعوّل عليك في حسن تصرّفك في اليوم، هل تودين تغيير مكان العمل؟ لكن حذار فلا يجب ان تصل هذه الحكاية لأي من المتعاونين معنا"

من خلال ما سبق يمكن الاستنتاج بان حركة # أنا زادة، قد تحدّت المجتمع وذلك بان ازالته الصمت حول المحرّم لهدف فضح التحرش الجنسي والعنف، والتّديد بالصمت وبالمخاطر المدمرة للهوس الذكوري المسيطر. لقد كان موضوع الاستغلال والتّرش الجنسيين داخل العائلة موضوع نقاش بصفة مستمرة داخل هذه المجموعة الافتراضية، كما كان الشأن لموضوع الاعتداءات الجنسية من المحارم التي وردت في الشهادات.

سواء في #MeToo او في #أنا زادة او في صفحة الفايسبوك فان المجموعة الافتراضية كانت متضامنة، وكانت فضاء لتبادل التجارب والنصائح، وخاصة المتعلقة بالعنف الجنسي في المدارس، أماكن العمل، وسائل النقل العمومي، والأحياء إلخ. كما تناول التواصل طرق استباق وتفادي المخاطر.

إنّ حركة #أنا زادة تمثل المعركة الحقيقية للنساء، معركة "الانا" وال"نحن"، اي المرأة كفرد، النساء والفتيات اللاتي يعشن كمجموعة مصير تناضل من اجل حقوقها مثل المساواة و ضد العنف المسلط على الآلاف منهن.



الجزء الثاني وقع حركة أنا زادة



بعد ما يقارب عن سنتين من انطلاق حركة #أنا زادة، قامت جمعية أصوات نساء بدراسة عبر النات لتقييم وقع والتأثيرات الفردية والاجتماعية لهذه الحركة الافتراضية.

استجواب البحث الذي أنجزناه في هذا الإطار يتمثل اساسا في أسئلة مغلقة وأخرى متعددة الإجابات. اضافة الي الأسئلة التي تتعلق بهوية الفرد (الجنس، العمر، الحالة المهنية والاجتماعية والعائلية)، حددنا علاقة الفرد بالتحرش الجنسي الذي وقع (شاهد، ضحية او الاثنان معا)، المكان و السياق، المعيش وأثار تحرر الكلمة لدى النساء، ردود الفعل على الرسائل التي وصلت عبر النات وأثرها على سلوك النساء، و على الضحايا والرجال و على المعتدين المحتملين. إنها مجموعة من 15 سؤال تنتهي بتقييم لحركة #أنا زادة عموما، ووقعها على التحرش الجنسي و التغيير الاجتماعي في تونس، وأخيرا التوصيات.

وقع نشر الاستجواب يوم 6 جويلية 2021. على صفحة مجموعة # أنا زادة الذي يشترك فيها الان (أكتوبر 2021) أكثر من 41000 عضو. ثم وقع نشر الاستجواب على صفحة فايسبوك جمعية أصوات نساء، وعلى منصة جمعيتي. وقع نشر هذا الاستجواب من جديد في سبتمبر على صفحة أصوات نساء التي تضم 50 ألف مشترك ومشاركة، وصفحات مجموعات كليات العلوم الإنسانية والحقوقية والسياسية والاجتماعية بتونس. اجمالا أجاب 104 فرد على الاستجواب الى حدود يوم 8 أكتوبر 2021، وأخضعت هذه الإجابات الى التحليل. وبقطع النظر عن مدى تمثيلية هذه الاخيرة فإن هذا البحث يعتبر مهماً لأنه يؤكد نتائج تحليل الرسائل التي وصلت.

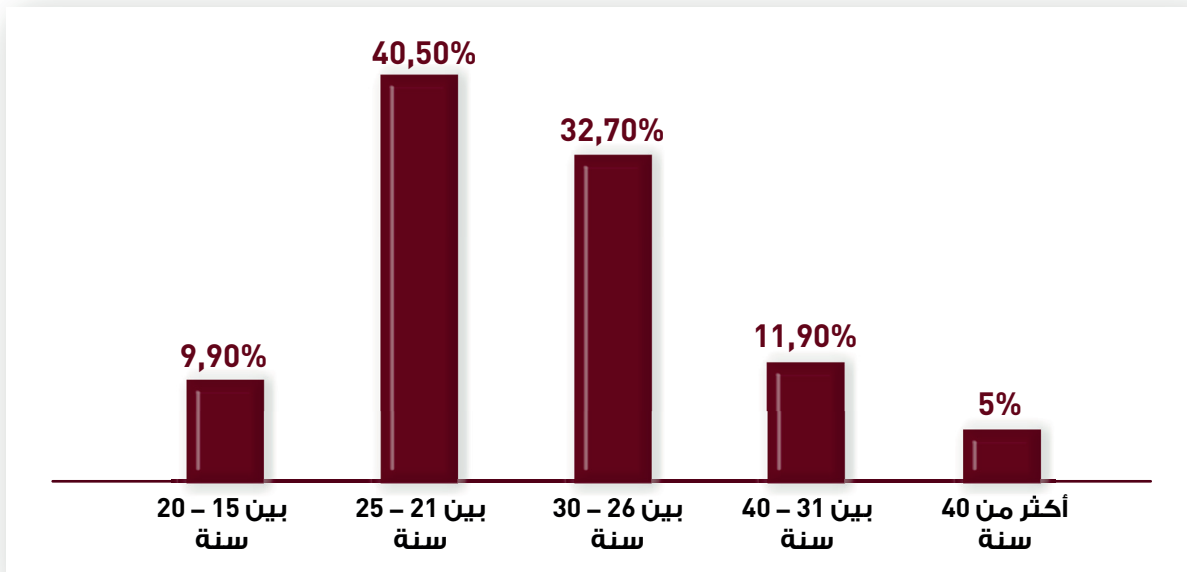


خصائص ونمط المستجوبات في البحث

انهم في الغالبية المطلقة من النساء، حيث لا يمثل الرجال الا 4,5% اي خمسة أفراد. من الصعب الاستنتاج ان قلة هذا العدد تفسر بغياب الدوافع او بألية مقاومة تجاه الموضوع.

عمر المستجوبات اثناء فترة البحث لا يتعدى الثلاثين لكل 8/ 10 نساء اي ان الأمر يتعلق بنساء شابات، بل ان 1/10 منهن لا يتجاوز عمرها العشرين. اضافة الى ان معطى السن يجعلنا امام شريحة عمرية تعتبر من اكثر مستعملي النت والشبكات الاجتماعية، فإننا نفترض كذلك ان نفس العامل، يدفع عددا كبيرا من هؤلاء النساء للمشاركة في البحث عبر النت لأنهن معرّضات فعليا لوضعيات التحرش الجنسي، لذلك فهنّ يفكرن بعقلانية بتعاطف مسبق مع الضحايا، مع الاعتقاد بإمكانية مواجهة نفس الاعتداء.

سن المستجوبين في البحث الميداني



تمثل نسبة النساء العازبات 83%، أما المتزوجات فيمثلن 14% والمطلقات 3% . تعود النسبة الكبيرة للعازبات الى كثرة هذه الفئة من الذين هنّ دون 30 سنة (لنذكر هنا بان سن الفتاة التونسية عند اول زواج هو 30 سنة) ، كما يمكن ان نفسره أيضا بتوفر أشكال التواصل الاجتماعي الافتراضي لدى الشباب ⁴⁹.

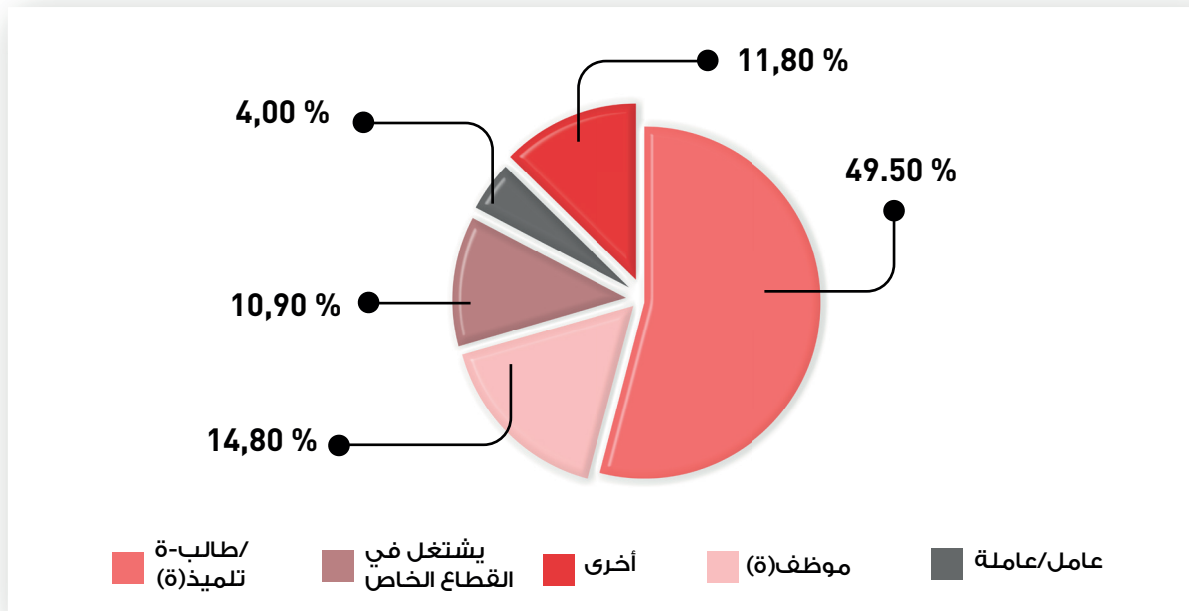
⁴⁹ في دراسة أنجزناها حول التحرش الجنسي السيارتي (عبر النات) أبرزنا ان في تونس يوجد 7300000 حساب فايسبوك 56% من المستعملين من الرجال و 44% من النساء. انهم من صغار السن: 41% أعمارهم بين 13 و 24 سنة.



الوضعية الاجتماعية والمهنية

نجد الطالبات على رأس قائمة اللاتي استجبن للمشاركة في البحث حول التحرش والعنف الجنسيين، إذ يمثلن تقريبا النصف اي 49,5%. ثم تأتي اللاتي يشتغلن، سواء في الوظيفة العمومية 20,3%، او في القطاع الخاص 14% ثم تأتي العاملات 4%.

الوضعية الاجتماعية للمستجوبين في البحث



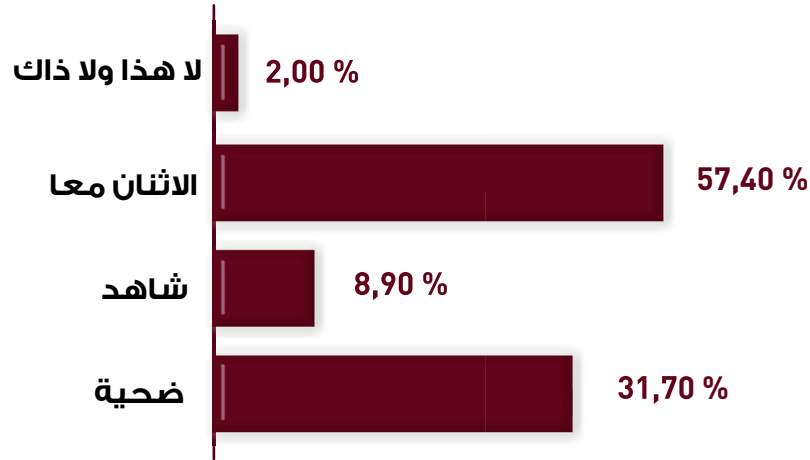
مثلما نلاحظ فان نسبة اللاتي شاركن في الاستجواب هن من النساء اللاتي يشتغلن في الفضاء العمومي، المهني، او المدرسي (مؤسسات، ادارات، مدارس، فضاءات سياسية). كما أنهن من اللاتي في تواصل مباشر مع الفضاء العام (شارع، وسائل نقل، إلخ). طبعاً هذا لا ينبغي أن يكون التحرش الذي تعرضن له قد وقع في الفضاء الخاص او الخصوصي (كما أبرزناه سابقاً خلال الشهادات).

صفة العلاقة في واقعة التحرش او العنف الجنسي

في نفس سياق الأبحاث والدراسات التي انجزت وخاصة من طرف الكرديف، تصرّح النساء بإجماع كامل بان ضحايا التحرش الجنسي كثيرات في تونس، وخاصة من النساء (96,9% من الأجوبة).



العلاقة بالعنف : ضحية، شاهد، الاثنان معا، لا هذا ولا ذاك



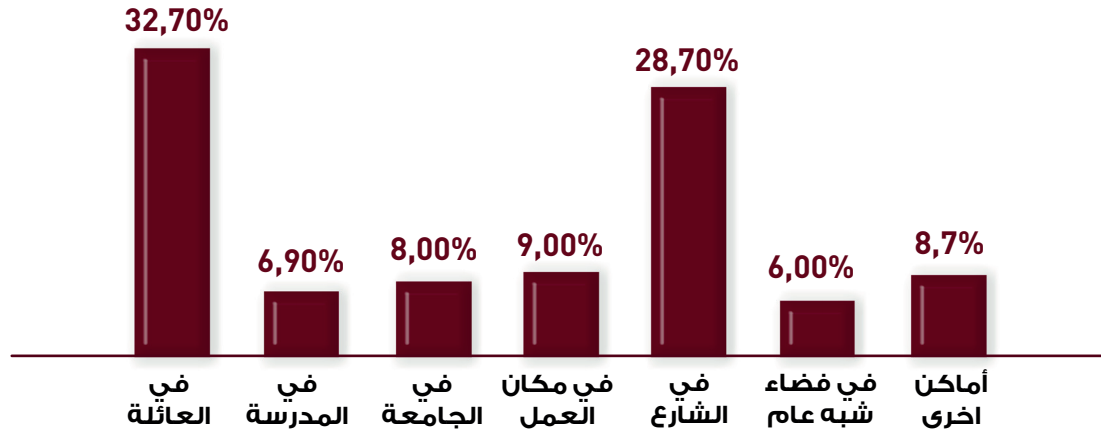
يبرز هذا الرسم أنّ تقريبا جميع اللاتي شاركن في الاستجواب تعرضن شخصا للتحرش الجنسي: أكثر من النصف كان في نفس الوقت شاهد وضحية، 1/3 الأفراد كان أساسا ضحية، (31,7%) ، وبعدد اقل (8,9%) كان شاهدا. وهذا ما يفسّر الصدى الواسع لموجة الشهادات وما صاحبها من تحرر للألسن على الشبكات الاجتماعية.

صفة العلاقة في واقعة التحرش او العنف الجنسي

من الممكن جدا ان يكون العنف الجنسي الحاصل تراكميا، اي أنّ نفس الشخص يتعرض لأشكال عديدة من العنف في نفس الوقت وفي أماكن متعددة. هنا حسب هذا المعنى نتحدث عن "عنف" متواصل وممتد.

- تظهر العائلة هنا كالفضاء الأكبر أين يتجلى العنف و التحرش الجنسيين. العائلة ترد في ثلث الشهادات (1/3) اي 32,7%، ان الأمر يتعلق خصوصا بعنف يتعرض له الأطفال، و المراهقون وعنف بين الأزواج. هذه النتيجة تؤكد ما وصل اليه تحليل الشهادات.
- يمثل الفضاء العام والشارع أماكن تكثر فيها مخاطر التحرش و التمييز الجنسيين بصفة عامة، وهذا ما تؤكدّه 28,7% من شهادات المستجوبات و البحوث الميدانية الماضية.
- فضاءات التعلّم والتربية كالمدرسة والجامعة تمثل هي الأخرى نسبة لا يستهان بها حسب الدراسات 14,9%.





ان مظاهر اللامساواة والتحرش الجنسي في أماكن العمل و عالم الشغل ليست شيئا نادرا. فهي تمثل 11% من الحالات الواردة في استجواب هذا البحث، وهي نسبة قد تبدو دون التقديرات، قياسا لحجم النساء اللاتي لهن نشاط مهني في العينة التي لدينا.

ردود فعل المحيط لشهادة الضحية

كل اللاتي أرسلن رسائل او أدلين بشهادات خلال حركة #أنا زادة، حول التحرش الجنسي، صرحن بانهن تلقين قبولا إيجابيا، بل إيجابي جدا وهن يمثلن 53,5%. تبلغ نسبة اللاتي تلقين اجابة سلبية 4,7% اي 1/20 فرد . اما البقية فإنها لم تشارك او لم ترد الإجابة.

الانتظارات التي اثارته مجموعة # أنا زادة

عديدة هي الانتظارات التي اثارته الرسائل التي وردت الى مجموعة #أنا زادة ويمكن تعدادها حسب أهميتها كما يلي:

- اللاتي يأملن في ان يُستمع اليهن (41,9%)
- اللاتي يأملن ان لا يقع تهوين الضرر الذي تعرضن له (16,3%)
- اللاتي يطالبن بان يتحمل المتحرش مسؤوليته (12,2%)



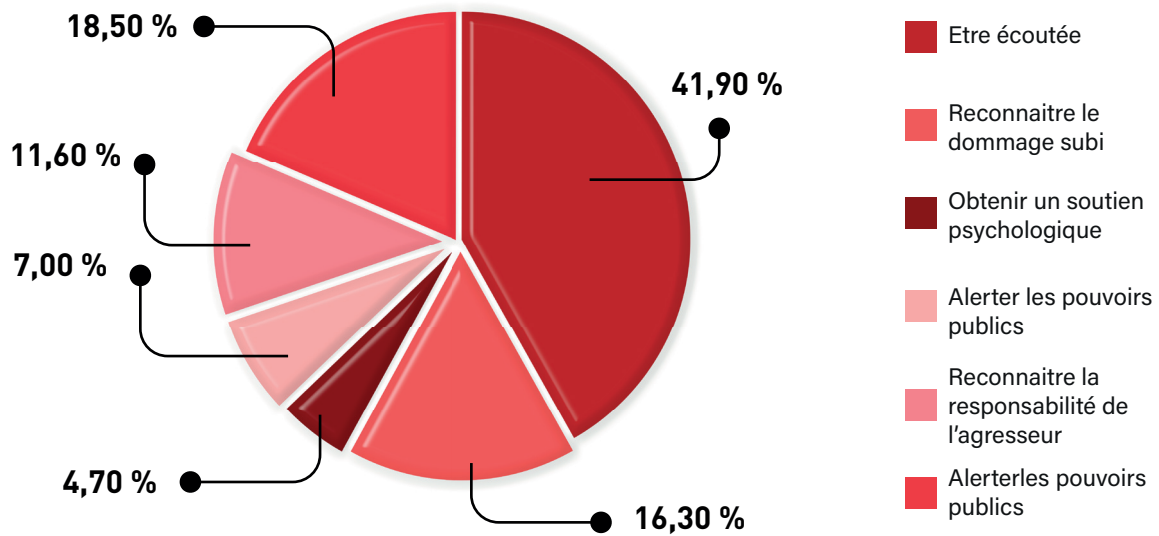
#أنا زادة

التحرش الجنسي في تونس بين المحرّم وتحرير الكلمة للنساء

- اللاتي عبّرن على ضرورة تنبيه السلطات العمومية بالمشكل (7%)
- النساء اللاتي لهن احتياجات نفسية (4,7%)
- البقية ليس لها انتظارات، او لها انتظارات قليلة، او هي خارج المجموعة

لنؤكد هنا على ان خدمات الإصغاء، والإرشاد والعناية النفسية والقانونية هي مسداة من الجمعيات والمؤسسات. الا انه من الظاهر انها لا تصل الى من يستحقها، امّا لنقص في المعلومة، او لحاجة الضحية اخفاء هويتها، او اخيرا لبعدها عن الخدمات عن الضحية. وهذا ما دعا جمعية أصوات نساء الى إنشاء خلية إصغاء، كما سنتعرض لهذا فيما بعد.

ATTENTES ET BESOINS DES PARTICIPANTES AU MOUVEMENT ENAZEDA



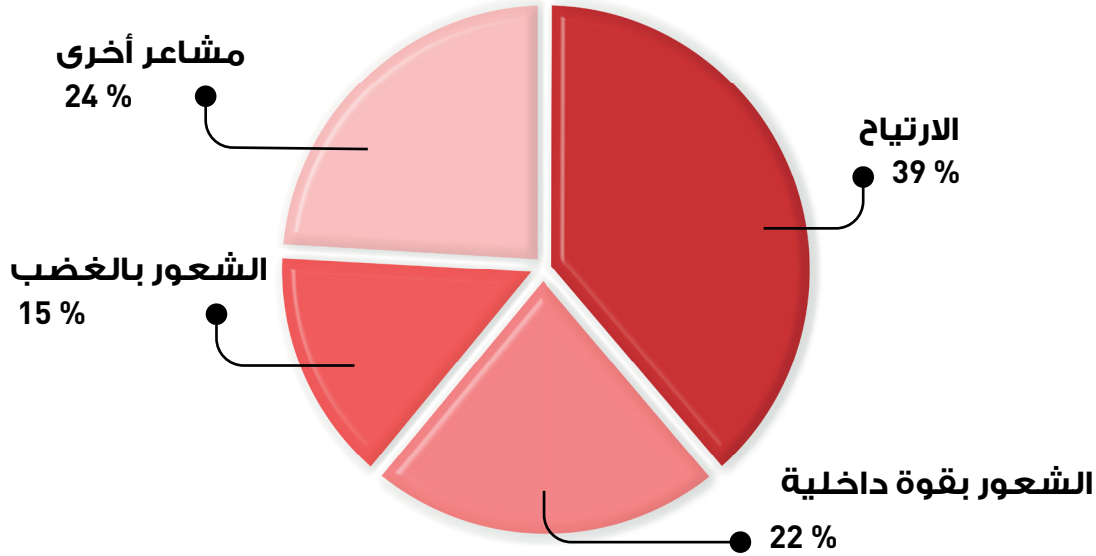
الوقع الفردي والاجتماعي لحملة #أنا زادة

استراتيجية الضحايا بين الانطواء والصمود

لقد كان للحركة تأثيرات آنية على الأشخاص عقب ما أرسلوه من شهادات. كما يمكن ان نفترض وجود وقعا آخر على المدى المتوسط والمدى الطويل. في الحالة الأولى هناك ثلاث مشاعر مهيمنة، نوردتها حسب درجة أهميتها: الارتياح، الشعور بقوة داخلية وبالغضب (مشاعر أخرى كالخجل، الخيبة...)



SENTIMENT ÉPROUVÉ APRÈS LE TÉMOIGNAGE



إن الأثر الحيني هو الارتياح، الشعور بالتححرر من عبءٍ ثقيل، وهو شعور تحدثت عنه 4/10 من مستجوبات اي ما يناسب (39%) . الشعور الثاني نجده لدى 22% من المستجوبات و يتمثل في الإحساس بالقوة، او كما تقول " أشعر أنني اصبحت أكثر قوة". فريق آخر من النساء (6,14%) يتواصل لديهن الإحساس بالغضب، لان التخلص من الكلمات المحبوسة أعاد ذكريات واقعة التحرش الجنسي وما أيقظت داخلهن من شعور بالإهانة. ان الشهادات التي استعرضناها سابقا تذكر أيضا الإحساس بالذنب تجاه الذات، نظرا لعدم القدرة على الذهاب الى أقصى حدّ في اتخاذ القرار اللازم زمن الواقعة.

يعتبر الغضب طاقة وفي بعض الأحيان قوة دفع. لهذا تجندت طالبات في كلية الحقوق، والعلوم السياسية وكلية العلوم الاجتماعية بتونس للقيام يوم غضب ضد العنف الجنسي في 11 نوفمبر 2021، للتنديد بالثقافة الأبوية التي تسمح للمغتصبين المتحرشين (أصدقاء، اعداء امن، قضاة إلخ) من الإفلات من العقاب الذي حدده القانون. ان الثقافة الأبوية تشجع لإهانة و ادانة ضحايا العنف الجنسي. هذا "الغضب العادل" يتعلق أيضا بقانون 2017-58 الذي حسب ما تراه المتظاهرات، لا يخضع للتطبيق من طرف السلطة.



خلال حركة #أنا زادة، تمتعت غالبية اللاتي نددن بالعنف الجنسي، على الشبكة بردود فعل إيجابية (68,3%)

في حين تعرضت 22% منهن الى النقد، والى عبارات بذيئة، وإهانات واعتداءات عبر النت (10%).

يمكن القول انه مع ولادة الوعي بالعنف تنشأ مقاومة في المواقف الاجتماعية. إن العنف تجاه النساء لا يفعل شيئاً الا انه يعزّي اللامساواة بين النساء والرجال، و يكشف السلطة والامتيازات الذكورية.

عقب التنديدات بالعنف و التمييز الجنسيين وتجاه ردود الأفعال التي أثارها عبر النت (أكانت سلبية او إيجابية) كيف كانت ردود فعل النساء؟

قمت برفع شكاية	9,8%
اتصلت بعيادة طبيب او مختص في علم النفس	10%
اتصلت بجمعية	
قطعت صلاتي بالانترنت	10%
اصبحت اكثر تكتما وابتحت عن طي الصفحة	27%
بلا إجابة	43%

تبرز استراتيجيتان لدى اللاتي أجبن على الاستجواب. الاستراتيجية الاولى اختارت التهرب، أمّا الثانية فإنها اختارت الصمود. الفئة الثالثة بكل بساطة لم تجب على السؤال.

تلتجئ النساء، وهن كثيرات، الى استراتيجية التهرب، على شكل الانسحاب، و العزوف. من هذه الفئة نجد ضحية (أو ناجية) من بين عشرة ضحايا تصرح بانها لم تعد تستعمل النت. في حين اختارت 27% من نفس الفئة، الانطواء، والنسيان وطي الصفحة.

أمّا اللاتي اخترن استراتيجية الصمود فلقد كانت ردة فعلهن برفع شكاية (9,8%)، او عيادة مختص في علم النفس او الطب، لطلب العون في تجاوز الصدمة وإعادة بناء الذات (10%).

هكذا تمكنت حركة #أنا زادة ضد التحرش الجنسي من استثارة شجاعة ضحية من خمس ضحايا على تبني استراتيجية فاعلة و صامدة.



لنذكر هنا ان الالتقاء الى الجمعيات لم تقع الإشارة إليه بوضوح من جمهور المستجوبات في هذا البحث، وهذا ما يثير الاستغراب، إذا نظرنا الى عدد الجمعيات النسائية والنسوية التي تسدي خدمات مساعدة وتوجيه للنساء ضحايا العنف.

لنؤكد هنا ان جمعية أصوات نساء بعثت عقب حملة #انا زادة خلية إصغاء التي تمنح عناية قانونية ونفسية للنساء من ضحايا العنف. خلال الفترة الممتدة من 7 جانفي 2021 الى 26 أوت 2021، تقبلت هذه الخلية أكثر من مائة امرأة ضحية عنف. ان الاستنتاجات الإحصائية لعيادات هؤلاء النساء تؤكد نتائج الدراسة التي نجزها استنادا على شهادات البحث عبر النت :

- مواصفات النساء والفتيات ضحايا العنف: هناك سيطرة عدد الشابات (60% اقل من 35 سنة) . تتمتع غالبيتهن بمستوى جامعي، او هنّ طالبات (56%).
- الوضعية العائلية: في الأغلب من العازبات (51%) او من المتزوجات (42%)، واحدة من بين ثلاثة لها أطفال في ذمتها.
- أماكن الاعتداء هنا تؤكد الوزن الثقيل للفضاء الخاص في 67 من الحالات. في الشبكات الاجتماعية في 30% من الحالات.
- ان المعتدين حسب الأهمية : الصديق او الخليل 22%، مجهول 20%، زميل او مسؤول في العمل 8%، من الاقارب (5%).

هذه المعطيات تبرز ان الصراع ضد العنف تجاه النساء والفتيات شاغل الجمعيات التي تناضل ضد العنف الذي هو اخطر أنواع اللامساواة بين الرجال والنساء. ورغم محدودية الإمكانيات فان هذه الجمعيات التونسية والتي من بينها أصوات تونس، نجدها ملتزمة ومجتهدة بقوة، وبتيسير من الشبكات الاجتماعية و ادماج الشباب، في المساهمة في الوعي بالعنف الجنسي الذي طالما وقع تجاهله.

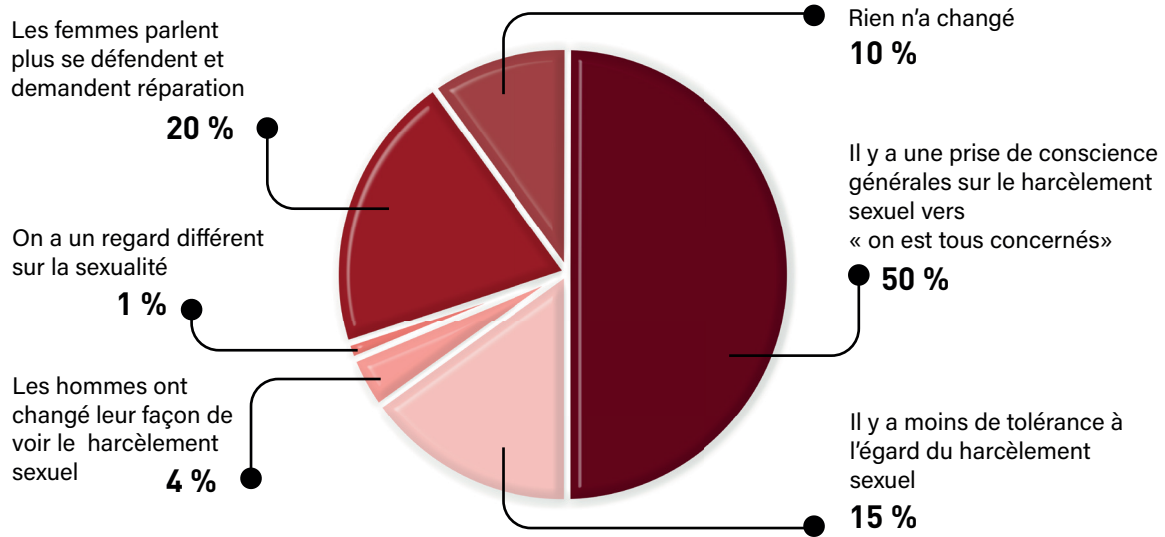
نحو وعي مجتمعي أفضل

اثبتت الدراسة ان حملة #انا زادة كانت حافزا لخلق ديناميكية، التزمت بها الحركة من أجل حقوق النساء في تونس وذلك بإصدار قانون ٥٨ اضافة الى حركة #MeToo وساهم هذا :

- نمو وعي عام بالعنف النوعي والتحرش الجنسي حسب (50,5%)
- لقد دفعت الحركة أيضا للنساء لتجرؤ على أخذ الكلمة والدفاع عن النفس (14,8%)
- كما توجد تقديرات بان حملة #انا زادة قد خفضت من درجة التسامح تجاه التحرش الجنسي (14,8%)
- لكن في المقابل لم تغير فعليا من نظرة الرجال للتحرش الجنسي (4%) وبدرجة أكبر في النظرة الاجتماعية للجنس (1%)



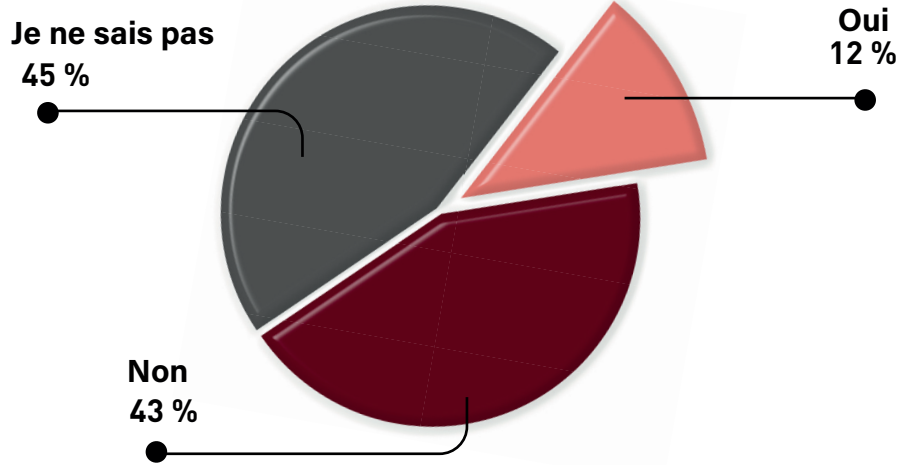
COMMENT LE MOUVEMENT ENAZEDA A-T-IL FAVORISÉ DES CHANGEMENTS SOCIAUX ?



ان مستوى الوعي في تزايد مستمر. ان الجهود التي يبذلها المجتمع المدني، والجمعيات النسوية، لأقناع النساء بأخذ الكلمة، وتحسيس الرأي العام، وبعث حركات وارسال دعاوى للسلط العمومية هي جميعها حقيقية. فان حركة #انا زادة قد خفضت من مستوى التحرش الجنسي حسب 12% من المستجوبين. لكن تظل هناك أشياء كثيرة تنتظر الإنجاز، والديناميكية الاجتماعية التي انطلقت تستحق الدعم.



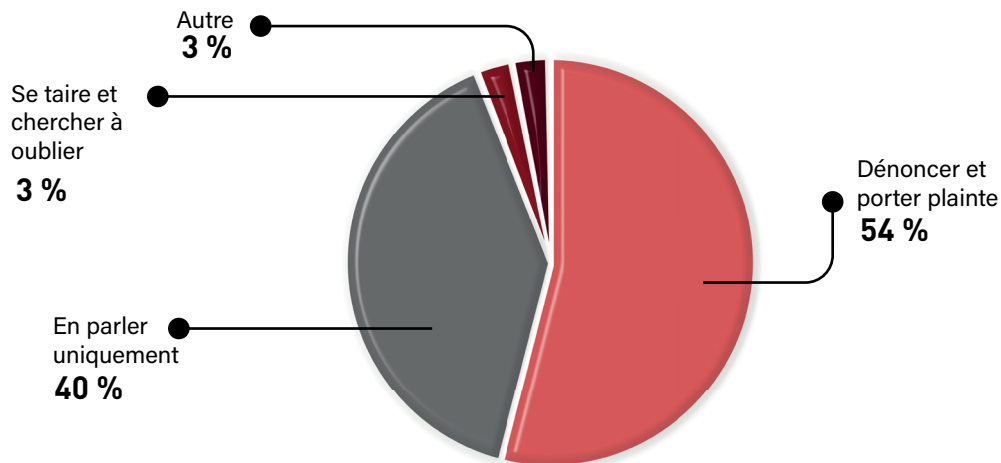
EST-CE QUE LE MOUVEMENT ENAZEDA A RÉDUIT LE HARCÈLEMENT?



ان تقييم حملة # أنا زادة على المستوى الفردي وعلى المدى المتوسط تعتبر عموما إيجابية و مشجعة :

- أكثر من 54% يعتقد انه شجع النساء على التنديد بالتحرش الجنسي ورفع شكاية 4/10 أفراد يصرحون بأنه من الضروري التكلم وكسر حاجز الصمت (40%) ان الموقف السائد الى وقت قريب والذي يدعو " للصمت، و البحث عن النسيان"، لم تعد تدافع عنه الا قلة نادرة (3%)

PENSEZ-VOUS QUE LE MOUVEMENT ENAZEDA A ENCOURAGÉ D'AUTRES VICTIMES DE HARCÈLEMENT SEXUEL À :



خلاصة



لم تعرف حركة # أنا زادة ما عرفته الكثير من الحركات، حيث انها انطلقت بتلقائية ولم تخفت ولم تضحل. بل انها عرفت نجاحا استثنائيا. فصحة فايسبوك اليوم التي يشترك فيها 45000 فرد، تعتبر منصة لمساعدة و لضمان ديمومة الحركة، لذلك اصبحت فضاء لتبادل التجارب والممارسات الحسنة . تنشر الكثير من ضحايا التحرش والعنف الجنسيين ومعظمهم من النساء الشابات، على هذه الصفحة وبصفة منتظمة شهادات مؤثرة، والتي علاوة على دورها التنفيسي، فإنها تفضح أشياء كثيرة داخل مجتمعنا، تتعلق بالمواقف، والتمثلات الاجتماعية، وبالعلاقات بين الرجال والنساء، والجسد و الجنس بصفة عامة.

تماما كما كان الشأن لحركة #MeToo و مثيلاتها، فلقد أبرزت #أنا زادة، حجم وتكلفة التمثلات الاجتماعية وثقافة الكتمان التي يفرضها المجتمع تجاه العنف القائم على النوع. وهذا ما دفع بعض الباحثات للقول : " من الممكن ان تكون تأثيرات حركة #MeToo ضخمة، شريطة ان نرفع كل زوايا الغطاء وليس من زاوية واحدة، ان نقبض على كل الخيوط وليس على خيط واحد، ان نعيد التفكير في سؤال العلاقة بين الجنسين، ان نتصدى بقوة الى وضعية الهيمنة الذكورية ونقضي فكرة الرغبة الذكورية التي لا تُقاوم"⁵¹.

لقد مكّنت هذه الحركة من تحرير الكلمة كما دفعت الى اعادة التفكير في العلاقات بين النساء والرجال وذلك بطرح سؤال التحرش الجنسي والعنف تجاه النساء كمسؤولية الجميع، كسؤال في صلب العلاقات في الفضاء العام والسياسي (إدارة، مؤسسات، مدارس، جامعات الخ) وليس فقط في الفضاءين الخاص و الخصوصي. طوال الحجر الصحي الذي فرضته جائحة كوفيد 19 تحركت مجموعة #أنا زادة، للمساعدة بقوة على توزيع وتبسيط مضمون قانون 58، خاصة فيما يتعلق بالاغتصاب، والرضا إلخ . تواصل اليوم جمعية أصوات نساء في تجميع الشهادات، حول العنف والتحرش الجنسيين وذلك من خلال المرور من الفضاء الافتراضي الى الفضاء الواقعي⁵².

51 فرانسواز هيريتي : متخصصة في الاتولوجيا ونسوية، توفيت بعد شهر من انطلاق #MeeToo مقتطف من حوار مع جريدة لوموند 2017-11-5.

52 اضافة الى مساهمتها في حركات التكوين والتأسيس في وحدات متخصصة في مقاومة العنف تجاه النساء، أصوات نساء هي من قامت بالمبادرة التي دفعت بلدية مدلين بتسمية احد انهج المدينة ب " نهج 2017-58".



ان الحركة النسوية الافتراضية، التي قام بأعبائها طرف من المجتمع المدني وهي جمعية أصوات نساء، كانت لها تأثيرات اجتماعية وكانت لها دور في الدفع بديناميكية المطالبة بحقوق النساء والمساواة، كما تشهد على ذلك العديد من المقالات الصحفية، والعلمية والأعمال المنشورة في تونس والتي تبرز توسّع في تناول مسائل الجسد⁵³، والجنس ومجالات الفضاء الحميم. طبعاً لا تزال المحرمات في مجالات الجنس، والحياة الخصوصية⁵⁴ طاغية لكن نشهد جرأة وتحرراً في الحديث عن العادة الشهرية، سن اليأس، القواعد الجسدية، المظهر الخارجي، وذلك انطلاقاً من معيش النساء. هناك حقاً وعي عام يؤدي للتساؤل عن واقع يصعب فهمه و قبوله، لكن الدفع الذي قامت به الحركة على المستوى السياسي، والواقع الفعلي على المؤسسات، والجهاز القضائي، وإشراك السلطات لا يزال محتشماً

⁵³ " UNFPA. Mon corps m'appartient: État de la population mondiale 2021 " ، حق التصرف في الجسد يعني أننا نمتلك السلطة والوسائل لأخذ قرارات دون الخوف من أي عنف أو من التدخل الآخرين للتقرير في مكاننا. هذا يعني القدرة على أخذ قرار بملك ارادتنا في إمكانية و زمن الجاب طفل. كما يعني هذا حرية مقابلة الطبيب كلما أحسنا بالحاجة لذلك

⁵⁴ في بلد كفرنسا من أفرات حرية التعبير ، التي تلت الحركات النسوية الافتراضية، كان تزايد عدد بلاغات حوادث الاغتصاب، التي تضاعفت ثلاث مرات بين 2017 و 2018 و ذلك حسب INED, enquête VIRAGE et Sondage



التوصيات



للمؤسسات :

- 1 تسخير الميزانية والموارد البشرية اللازمة للتطبيق الفعلي للقانون 2017-58 المتعلق بإلغاء العنف المسلط على النساء والفتيات.
- 2 المصادقة على اتفاقية إسطنبول 2011 التي تحمي النساء من كل أشكال العنف.
- 3 المصادقة على الاتفاقية 190 المنظمة العالمية للشغل 2019 حول التحرش والعنف في الشغل وتحرص النقابات على تطبيقها.
- 4 استصدار قانون يهدف للوقاية، والحماية و العقاب في مجال التحرش السيبراني الافتراضي واعتباره جنحة واعتداء على كرامة الفرد وليس " شأنا خاصا".
- 5 إيلاء الأهمية لمسألة الرضا والقبول، في النصوص القانونية والبرامج المدرسية.
- 6 الدفع لتطوير الدراسات والبحوث الجامعية والعلمية حول العنف والاعتداءات الجنسية خاصة للفتيات التي لم يشملها البحث بما فيه الكفاية، كالمراهقين، الشبان، والطالبات إلخ من أجل إعطائهم الحماية المثلى.
- 7 تدعيم قدرات الأطراف المتدخلة، (القضاة، اعوان الوحدات المختصة، اعوان الصحة إلخ) بمعرفة وتطبيق المعايير الدولية، في مجال الوقاية والعناية بالنساء والفتيات ضحايا العنف، ومدهم بالتكوين الأولي والمستمر حول أشكال العنف الجنسي، آثارها، والوسائل لرصدها والإبلاغ عنها.
- 8 الانطلاق في دراسة وطنية حول العنف تجاه النساء لرصد تطوره من خلال مؤشرات كمية ونوعية معمقة وجيدة.
- 9 تحسين وتقوية خدمات المساعدة (القانونية، النفسية، والطبية إلخ) والعناية المسداة الى النساء والفتيات ضحايا التحرش والاستغلال الجنسيين، وذلك عبر عدة وسائط (اشربة فيديو تحسيسية، حملات افتراضية، نقاشات على القنوات الوطنية، دليل بيداغوجي).
- 10 مواصلة تحسيس الرأي العام، من النساء، والرجال والأطفال والمراهقين، واعطائهم مبكرا المعلومة اللازمة عن الحدود التي لا يجب تجاوزها داخل الحياة الخصوصية، وتلقيهم الاحترام المتبادل والقدرة على الدفاع ضد كل أشكال الاستغلال الجنسي.



للجمعيات والمنظمات :

- 12) مساندة ومساعدة الضحايا لرفع شكاية.
- 13) تنمية التضامن بين الضحايا لتشجيعه على تقديم الشهادة ورد الفعل على الاعتداء و/او رفع شكاية.
- 14) مساعدة النساء الناجيات من التحرش والعنف الجنسيين على اعادة بناء توازنهن، وتجاوز الشعور بالذنب للوصول الى الاستقلالية و القدرة على الصمود.
- 15) مزيد دفع السلطات والمؤسسات العمومية والقطاع الخاص في مقاومة التحرش الجنسي في العمل.
- 16) اقتراح والمساهمة في تركيز برامج حماية في الإطار التربوي للتحسيس بخطورة العنف القائم على النوع لدى التلاميذ والطلبة واعوان الإدارة.
- 17) التشجيع والتعاون مع المؤسسات التعليمية لإنجاز أنشطة تربية حول الجنس للمراهقين والشباب وتكوينهم حول الإساءات الجنسية وطرق الإبلاغ عنها.
- 18) ربط الصلة مع العائلات للعمل على إعلامها بحقوق النساء والأطفال والخدمات والفرص المتاحة في حالة وقوع عنف او تحرش جنسيين.
- 19) السعي لتحسين مد العناية والمتابعة النفسية والقانونية والطبية للأطفال ضحايا 19- الاستغلال الجنسي، من طرف اعوان متخصصين.



مراجعة تكميلية



ATFD,

Conditions des femmes et des filles migrantes victimes de violences et Tunisie : État des lieux et recommandations. Tunis novembre 2016.

ATFD,

L'accès à la justice des femmes victimes de violences : obstacles et défis. Tunis 2021 (en arabe).

Ben Achour Sana,

Violences à l'égard des femmes : les lois du genre. EuroMed Droits. 2016

Bouyahia Thouraya et Jaouadi Najet,

Guide pour l'accueil des femmes victimes de violences par les agents des unités spéciales. CREDIF/EUROMED DROITS/F.F.EBERT. Tunis 2021(en arabe)

Clémentine Gérard,

Conséquences d'un abus sexuel vécu dans l'enfance sur la vie conjugale des victimes à l'âge adulte in Carnet de notes sur les maltraitances infantiles n°3/2014

CREDIF,

Étude qualitative sur les violences fondées sur le genre faites aux adolescentes et leurs besoins en termes de services. Décembre 2019

Fraisse Geneviève,

Du consentement, Editions Seuil, 2007.

FIDH-ATFD,

Guide de 100 mesures pour l'élimination de toutes les formes de violences à l'égard des femmes et des filles. Hlima Jouini et Monia Kari, 2017.

Jlassi-Belkhiria Rachida (Dir.),

Les dispositions pénales dans la loi n°58 du 11 Aout 2017 relative à l'élimination de la violence à l'égard des femmes : CAWTAR/Université de Tunis El Manar/Laboratoire des sciences pénales et de criminologie/Université de sciences juridiques de Tunis. 2019

Mahfoudh Dorra et Melliti Imed,

Pour une sociologie de l'adolescence en Tunisie. CPU- Tunis 2006



Mahfoudh Draoui Dorra,

La violence de genre : un objet difficile à construire : Revue analytique des recherches et programmes d'action traitant de la violence à l'égard des femmes. In Équité de genre et prévention de la violence à l'égard des femmes (Édit. ONFP- 2007)

Mahfoudh Draoui Dorra,

Le cyber harcèlement sexuel : Une nouvelle forme de violence basée sur le genre. F.F. EBERT- Tunis. Novembre 2021

Maaïke Voorhoeve ,

« Production judiciaire des normes et vigilance de la société civile : Le cas de la sexualité en Tunisie ». In l'Année du Maghreb 16/2017

Nahoum-Grappe Véronique,

« Metoo : Je, elle, nous ». In Revue Esprit, Mai 2018.

تم دعم هذه الدراسة من قبل

OPEN SOCIETY FOUNDATION, KVINNA TILL KVINNA, LE DANISH CENTRE FOR GENDER, EQUALITY AND ETHNICITY, "KVINFO".

ان الآراء الواردة في هذه الدراسة هي آراء المؤلفين / المؤلفات ولا تعكس بالضرورة رأي OSF, KVINFO أو KVINNA TILL KVINNA."



OPEN SOCIETY
FOUNDATIONS





#أنل زادة



55 809 834



contact@aswatnissa.org



www.aswatnissa.org